جامعة آل البيت

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة ماجستير بعنوان

وصف الطبيعة في شعر ابن الرومي: دراسة تحليلية

The Description Of Nature in Ibn Al – Rumi's Poetry: Analytical Study

إعداد الطالب

محمد أحمد محمد شهاب

(١٣٢٠٣٠١٠٣٣)

إشراف الأستاذ الدكتور

محمد محمود الدروبي

٢٠١٩م

التفويــض

أنا الطالب محمد أحمد محمد شهاب أفوض جامعة آل البيت بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:

التاريخ: / /٢٠١٩م

إقرار والتزام بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها

أنا الطالب: محمد أحمد محمد شهاب الرقم الجامعي: ١٣٢٠٣٠١٠٣٣

التخصص: اللغة العربية وآدابها

الكلية: كلية الآداب والعلوم الإنسانية

أعلن بأنني قد التزمت بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المعمول بها المتعلقة بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه عندما قمت شخصيا بإعداد رسالتي بعنوان:

وصف الطبيعة في شعر ابن الرومي: دراسة تحليلية

إن هذه الدراسة التحليلية غير منقولة أو مستلة من رسائل أو أطاريح أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية، وإنني أتحمل المسؤولية فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب:

عمادة الدراسات العليا

جامعة آل البيت

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وعنوانها:

"وصف الطبيعة في شعر ابن الرومي: دراسة تحليلية"

وأجيزت بتاريخ / / ٢٠١م

إعـداد الطالب

محمد أحمد محمد شهاب

١٣٢٠٣٠١٠٣٣

إشراف

الأستاذ الدكتور: محمد محمود الدروبي

أعضاء لجنة المناقشة	توقيع
١- أ.د. محمد محمود أحمد الدروبي	مشرفا ورئيسا
٢- أ.د. أمين يوسف عودة عـــــودة	عضوا
٣- د. حسين أحمد حسين كتانـــــة	عضوا
٤- دة. خولة خليل شخاتـــــــــرة	عضوا/ مناقشا خارجيا ..

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة آل البيت.

نوقشت وأوصى بإجازتها/ تعديلها/ رفضها بتاريخ : / /٢٠١٩م.

الإهـــــداء

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أهدي هذا البحث إلى معلم البشرية محمد صلى الله عليه وسلم، وإلى سيدة تحت أقدامها الجنة أمي رحمها الله، وإلى رجل أفنى حياته من أجلي أبي رحمه الله، وإلى جميع أفراد عائلتي، وكل الأصدقاء في الدراسة، سائلا المولى عز وجل أن ينفع به، وأن يجعله لوجهه الكريم.

الباحث

شكر وتقدير

عملا بالتوجيه النبوي الكريم القائل: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) أقدم جزيل الشكر والتقدير إلى من كان لي عونا، وسندا، إلى أستاذي الدكتور محمد محمود الدروبي، الذي تفضل بالإشراف علي، والذي لم يبخل يوما في أي استشاره أو توجيه، وعانى كثيرا في قراءة هذا الجهد وإنجازه على الوجه الصحيح، ولولا توجيهاته الحثيثة وسعة صدره لما كان لهذا العمل أن يتم .

كما أتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير والثناء والولاء إلى جامعة آل البيت التي أتاحت لي فرصة العمل فيها والسماح لي بالالتحاق بالدراسات العليا لإتمام دراستي، كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أساتذة قسم اللغة العربية بجامعتي الحبيبة، وإلى كل من ساعدني في إتمام عملي هذا، فجزاهم الله عني كل خير.

الباحث

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات .....ز
ملخص الرسالة باللغة العربية ..... ح
المقدمــة..... ١
التمهيد. ٥
الفصل الأول وصف الطبيعة النباتية والحيوانية في شعر ابن الرومي ٨
أولا: الطبيعة النباتية في شعر ابن الرومي: ٩
ثانيا: الطبيعة الحيوانية في شعر ابن الرومي: ٤١
الفصل الثاني وصف الطبيعة الصامتة والصناعية في شعر ابن الرومي..... ٧٣
أولا: وصف الطبيعة السماوية في شعر ابن الرومي:..... ٧٤
ثانيا: وصف الصحراء والبر: ١١٥
ثالثا: وصف البحر: ١١٨
رابعا: وصف الطبيعة الصناعية: ١٢١
الفصل الثالث الجوانب الفنية في شعر الطبيعة عند ابن الرومي..... ١٤٣
أولا: اللغة الشعرية: ١٤٤
ثانيا: التناص: ١٥٠
ثالثا: الأسلوب: ١٦١
الخاتمة والنتائج ١٨٩
المصادر والمراجع..... ١٩١
المقالات الإلكترونية: ١٩٨
Abstract ٢٠٠

ملخص الرسالة باللغة العربية

في نظرة متأنية لشعر ابن الرومي تتجلى لنا حقيقة؛ وهي أن شعره يتسم بتصوير الطبيعة المبهرة، بل لا تخلو قصيدة من قصائده من صور الطبيعة، ولا يخلو نص واحد من نصوصه الشعرية من وصف الطبيعة الفاتنة، فهي مرسومة في كل موضوع من موضوعات شعره.

كانت الطبيعة بالنسبة له متكأ للموضوعات الأخرى؛ فإذا وصف اتكأ على الطبيعة، وإذا تغزل استثمر الطبيعة ووظفها لغزله، بل حتى في حنينه للذكريات الماضية اتكأ على الطبيعة، وإذا هجا جعلها كالمسند الذي يستند عليه، أما إذا مدح فلا يوجد مثيل للطبيعة للأخذ منها والاستقاء من جمالها، كما كانت مواسيا له في أحزانه وأوجاعه وآلامه.

كانت الطبيعة عند ابن الرومي؛ وسيلة للغوص في موضوعات إنسانية متعددة؛ فهي ركيزة أساسية في شعره، كما هو الحال بالنسبة لكثير من الشعراء في ذلك، ولكن شاعر هذه الدراسة هو من الشعراء العباسيين السباقين باستثمارها وتوظيفها في نتاجه الشعري.

وفي ضوء هذه الأهمية، حاولت هذه الدراسة متابعة الطبيعة في شعر ابن الرومي، والملاحظ أن الطبيعة عامة حظيت باهتمام بالغ من الشعراء، فكان هذا دافعا لدراسة المنجز الشعري له، إذ وجد الباحث في شعره نماذج قيمة تستحق الدراسة وتفي بالغرض المطلوب، وتغطي مساحته، واقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول؛ تبين من خلالها أن الطبيعة استلهمت قريحة ابن الرومي، وتمثلت في صور متعددة، وتبين في البحث مدى تأثر الشاعر بالمكان الذي ولد وعاش فيه، ومدى تأثره بالحياة الأدبية والعلمية والثقافية في تلك المدة، حيث كانت بغداد منارة العلم والأدب للعالم كله، مما أثر كثيرا في نتاجه الفني وبراعته الشعرية وبلاغته الأدبية.

المقدمــة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فالطبيعة هذه الكلمة الصغيرة في مبناها والكبيرة في معناها، لم تذكر مفردة بذاتها كثيرا في شعر العرب قديما، إنما ذكر ما تحمله في طياتها من مفاصل تعود للطبيعة، فيندرج تحت اسمها أنواع متعددة منها؛ الطبيعية المتحركة، كالأشجار والثمار والحيوانات، والطبيعة الصامتة، كالنجوم والكواكب، والصناعية، كالسفن والقصور والبرك.

لقد قادني حبي للطبيعة إلى تناول هذا الموضوع، وفضلا عن ذلك قادني حبي للشعر العربي القديم؛ بخاصة العباسي منه، إلى اختيار شاعر سما اسمه وعلا بين أقرانه من شعراء العربية في تناوله للطبيعة وحبه لها، حتى إنه تفنن في توظيفها في شعره، وهو - ابن الرومي- شاعر الإحساس المرهف والإبداع المثير والرقة والمتانة، شاعر جمع كل مميزات الشعر الناجح، وهذا ما دفعني للتمسك بهذا الموضوع، ومحاولة سبر أغواره للكشف عن ما هو جديد، والتحري عنه.

لقد قادني شغفي بشعر ابن الرومي إلى الوقوف على خصائص مميزة في شعره، يمكن عدها ظواهر تميز بها عن غيره من شعراء عصره، أو لنقل عن شعراء العربية السابقين والمعاصرين له واللاحقين عليه، ومكنتني دراستي للشعر العربي عموما من تمييز نتاجه من غيره، فعند الغوص في ديوانه يمكن للدارس معرفة أهم مكونات مادته باعتبارها منفذا مهما يمكن من خلاله الدخول إلى موضوعات كان يبغيها الشاعر من وراء هذا اللون، مثل موضوع الشكوى والمديح والغربة، فأي موضوع كان الشاعر قد وظف الطبيعة من خلاله لتتميز قصيدته وتتجلى الصورة بأبهى حلتها.

هذا الشغف للطبيعة الذي اتسم به ابن الرومي صار ملمحا بارزا في شعره، ولا أحسب أن هذا الشغف كان خاليا من دلالات خاصة أراد الشاعر أن يبثها في نتاجه، وأراد أن يوظفها لما لها من مكانة مهمة؛ لذلك وقع اختياري على هذا الموضوع "وصف الطبيعة في شعر ابن الرومي" لأتتبع ذلك الوصف الذي

أراد الشاعر من خلال تقصيه تلك الصور، ولأتمكن من البحث عن جماليات صور الطبيعة التي اتسم بها شعر شاعرنا؛ لتحقيق أهداف متعددة أهمها:

الرغبة في سبر أغوار الشعر العباسي في القرن الثالث الهجري، وبيان كيف كان الشعراء يتـفننون في فن الوصف لإبراز صور البيئة التي كانوا يعيشونها؟

إظهار مدى فاعلية فن وصف الطبيعة في الشعر العربي وتأثيره على المتلقي، ومعرفة نظرة المجتمع العربي لذلك الفن، ومكانة الطبيعة بالنسبة لهم.

محاولة إضافة جديدة في مجال الدراسة، - بعد البحث - عن هذا الموضوع، لم أجد إلا بعض الدراسات القريبة من هذا الموضوع؛ ومنها:

الطبيعة في شعر ابن الرومي، سعاد علي عبد الماجد أبو الحسن، جامعة أم درمان، رسالة ماجستير، سنة ٢٠٠٠م.

الطبيعة في شعر ابن الرومي، حبيب السيد أبو جمعة، جامعة الأزهر، رسالة ماجستير، سنة ١٩٨٤م[٢].

الطبيعة بين ابن الرومي وابن خفاجة الأندلسي، أحمد عبد المنعم العسيلي، جامعة الأزهر، رسالة ماجستير، سنة ١٩٨١م[٢].

واعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، راجيا من خلاله الوصول للغاية المرجوة من الدراسة، فاستقام البحث في تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، عملت فيه على إظهار صور الطبيعة في شعر ابن الرومي، وعلى نقد الصورة التي وصفها الشاعر وتحليلها، فقد تناول التمهيد صورة الطبيعة عند ابن الرومي بشكل عام .

بعد هذا التمهيد، جاء الفصل الأول بعنوان: (وصف الطبيعة النباتية والحيوانية) وهو في مبحثين، الأول بعنوان: (الطبيعة النباتية في شعر ابن الرومي)

() انظر موقع المنظومة، http.search.mandumah.com.abu.proxy.coe-elibrary.com.

() ببليوجرافيا الرسائل العلمية فى الجامعات المصرية منذ إنشائها حتى نهاية القرن العشرين: الأدب العربى والبلاغة والنقد، تصنيف ودراسة الدكتور محمد أبو المجد علي البسيوني الآداب، ط١، ٢٠٠١القاهرة م، ص ٢٥٧.

متضمنا الحديث عن الأشجار المثمرة، والتي تمثلت بعدة محاور منها؛ النخيل والعنب والموز والتفاح والمشمش ،والأشجار الغير مثمرة،والرياض، والتي تمثلت بعدة محاور منها: الورد، النرجس، والبنفسج، والنيلوفر، والبهار، والجلنار، والثاني بعنوان: (الطبيعة الحيوانية في شعر ابن الرومي) وتضمن عدة محاور منها؛ الخيل، والجمل، والكلاب، والقرود، والفيل، والحيوانات الغير أليفة والتي تمثلت بعدة محاور منها؛ والأسد، الثعلب، والفهود، والذئاب، والطيورأليفة، والتي تمثلت بعدة محاور منها؛ العصافير، والطاووس، والحمام، والديك، والبط والدجاج، والطيور الغير أليفة، والتي تمثلت بعدة محاور منها: العقاب، والصقر، والحشرات والزواحف، والتي تمثلت بعدة محاور منها؛ النحل، والذباب، والعنكبوت، والأفعي، وفي ضوء هذا الوصف صنفت أشكال صور الطبيعة عند الشاعر، وبان دورها في النص.

وجاء الفصل الثاني، بعنوان: (وصف الطبيعة الصامتة والصناعية في شعر ابن الرومي)، وهو في مبحثين، الأول بعنوان: (وصف الطبيعة السماوية في شعر ابن الرومي)، وتضمن عدة محاور منها؛ النجوم والكواكب، والشمس، والقمر، والليل، والثريا، والشهب والجوزاء، والرياح، والنسيم، والمبحث الثاني: (وصف الصحراء والبر في شعر ابن الرومي)، وتضمن عدة محاور منها؛وصف البحر، والأنهار والغدران، والطبيعة الصناعية. وتضمن عدة محاور منها؛ القصور والأبنية، ووصف الدور، والرحلات، ورحلات الصيد،ورحلات الوصول للممدوح، ووصف السفينة، ووصف الناعورة، والأحجار الكريمة. وتعرفنا من خلاله على فن الوصف الدقيق لكل ما هو طبيعي وصناعي وكيف قدم الشاعر هذا الفن وأجاد فيه.

واندرج الفصل الثالث، تحت عنوان: (الجوانب الفنية في شعر الطبيعة عند ابن الرومي)، وجاء في عدة مباحث منها؛ اللغة الشعرية، وحسن التعليل، والمذهب الكلامي، والتلطف والتغاير، والتناص، والإقتباس، والأسلوب، وتضمن عدة محاور منها؛ النداء، والإستفهام، والتعجب، والأمر والنهي، والتشبيه، والاستعار، والكناية.

ولا يسعني في هذا المكان إلا أن أقدم جزيل الشكر والعرفان لأستاذي الفاضل الدكتور محمد الدروبي المشرف على رسالتي، الذي لم يبخل علي بعلمه النافع، وجهده، وإرشاداته وملاحظاته القيمة، مما أثر في إنجاح هذا العمل، فله مني جزيل الشكر والعرفان، كما أقدم شكري لأعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا بقبول مناقشة هذه الرسالة، وسأسعى جاهدا - إن شاء الله- للأخذ بملاحظاتهم القيمة.

التمهيد.

كانت الطبيعة، ولا زالت، ملهمة للإنسان قبل الفنان والشاعر، فهي ملجأ لهم يستمد منها المبدعون طاقاتهم الإيجابية، ومصدر يستمدون منها جمال الحس والنفس والروح، كما هي منفذ يفرغون فيه طاقاتهم السلبية وشحناتهم المملوءة بالغضب والتعب.

بدأ تأثير الطبيعة على الشاعر العباسي في ظل الظروف التي تغيرت من حوله، ففي العصور الإسلامية المتقدمة لم يكن الشاعر يصف الطبيعة كما أصبحت في العصر العباسي، حيث إن تأثير الأجواء والحياة أثر كثيرا في نتاج الشعراء، وابن الرومي من الذين انصب اهتمامهم على الطبيعة، فكأنها تملكته وتستولي على عقله، حتى انصب اهتمامه عليها، وغدت الطبيعة في شعره كأنها سمة تميز بها، فعندما تذكر الطبيعة في شعر العصر العباسي، يذكر ابن الرومي، وبالعكس عندما يذكر ابن الرومي، يتبادر إلى الذهن شعر الطبيعة، حتى انشغل أكثر النقاد بهذه السمة التي اتسم بها.

فمنهم من قال: "صار ابن الرومي من أشهر الوصافين في الأدب العربي خاصة في تصويره الطبيعة واندماجه فيها وربما كان هذا الاندماج وليد فشله في المجتمع والنكبات التي توالت عليه في الحياة، كما لو كان قد هرب من واقعه، بالتجائه إلى الطبيعة حتى ينسى في أكنافها ألمه"[1]، فالشعر إذن يختلف حسب ظروف وبيئة الشاعر.

إن الظروف التي عاشها الشاعر في تلك المدة شجعت كثيرا على انفتاح قريحته الشعرية، فالحياة في بغداد عاصمة الخلافة، اتسمت بتنوع الثقافات وتعدد الأجناس البشرية، فالمجتمع عبارة عن مزيج من عرب وفرس وروم، فضلا عن ذلك الحياة الاقتصادية والاجتماعية المستقرة نوعا ما، وحياة الرفاهية مثل انشغال المجتمع ببناء القصور، والاهتمام بالزراعة وتنوع المحاصيل الزراعية، والاهتمام بالحدائق والورود، بل حتى بالطيور، فقد بدأ المجتمع بالانفتاح على المجتمعات الأخرى، وبدأ التبادل في مفاصل الحياة يسهم في تغيير الحياة كثيرا، سواء أكان عن قصد أم غير قصد، ففضلا عن تبادل العلوم والثقافات والكتب، فهناك انصهار جديد في علاقات النسب بين العرب وغيرهم

---

[1] نوفل، سيد، شعر الطبيعة في الأدب العربي، ط٢، دار المعارف بمصر، ص ٨٤.

، فالتزاوج بين الأجناس المختلفة كان عاملا مساعدا على ذلك، وهناك تبادل السلع عن طريق التجار، بل حتى تبادل الحيوانات والطيور، من خلال البيع والشراء حسب رغبة التجار، والهدايا التي كانت تقدم للأمراء والوزراء والقادة، كل هذا ساعد على ازدياد سعة الأفق للمجتمع عموما.

إن العلاقة الحقيقية بين ابن الرومي والطبيعة هي علاقة ولادة ومعايشة، علاقة تثبت التأثير الإدراكي عليه، تثبت أحقية الشاعر بأن يتفنن بهذا اللون من ألوان الجمال، فالطبيعة نالت منه حتى تملكته، فبانت في نتاجه وكأنه خلق لهذا النوع من الفن تشرب معانيه وتلذذ بجماله، فأبدع في قوله.

الفصل الأول
وصف الطبيعة النباتية والحيوانية في شعر ابن الرومي

لقد كرمنا الله - عز وجل - بمكارم الطبيعة المتعددة بجبالها، وأنهارها، وحيواناتها، بما ينبت فوق الأرض من نباتات وأزهار وأشجار وغابات وبساتين، هذه المكارم هي دلائل على قدرته تعالى وبديع صنعه، كما جاء في قوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء..﴾[1] كما تجلت عظمته تعالى في ذكره للطبيعة النباتية في أكثر من موضع في كتابه؛ حيث قال: ﴿وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾[2] ، وقوله: ﴿ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾[3]؛ لذا نرى أن الطبيعة أثرت كثيرا في النفس الإنسانية، وفي شعر الشعراء قديما وحديثا، فهي تعد مصدر إلهام الشعراء على مر العصور، ولا يمكن الاستغناء عنها أو تجاهلها، "فمنذ عصورهم الغابرة كانوا يتغنون بها، ويصورون مظاهرها المختلفة"[4]؛ لأنها ترمز للروح والفن والذوق والإحساس والإبداع، أي إنها تتمثل بما أنعم الله على الإنسان من حواس؛ فالعين ترى الألوان وتتغنى بخضرتها وبياضها وبنفسجها وأحمرتها ..، والأنف يشم أطيب العطور التي تفوح من هذه الطبيعة؛ سواء أكانت زهرية أم نباتية..، فلكل واحد منهما خصائصه وجماله..، والفم يتذوق ألذ الأطعمة من هذه النباتات، التي هي المصدر الرئيسي في إشباع الإنسان، فضلا عن الحيوان، فهي مصدر الرزق للمخلوقات قبل أي شيء آخر. من هذا نلاحظ أن الشاعر استثمر الطبيعة على مر العصور وضمنها في نتاجه، وزين بها قصائده" كما أن الشاعر في العصر العباسي الثاني أبدع في وصف الطبيعة وسجل خصائصها، ورسم لوحات فنية رائعة لمفاتن جمالها وجدد في موضوعاتها"[5].

---

[1] سورة النمل: آية ٨٨.

[2] سورة البقرة: آية ٢٢.

[3] سورة النحل: آية ١١.

[4] أبو سويلم، أنور عليان، الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول، ط١، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٨٣، ص٥.

[5] العقاد، عباس محمود، ابن الرومي حياته من شعره، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٣١م، ص٣٠٩.

ومن هؤلاء الشعراء كان الشاعر ابن الرومي الذي جسد الطبيعة بأنواعها الحية والصامتة وأشكالها في شعره، وحاول أن يبث فيها من إحساسه وشعوره ولغته الشعرية العالية، "بقدرته الفائقة على تصوير الألوان والأشكال وحركات الأشياء، خاصة وأن تصوير الحركة أصعب من بقية التصاوير لعدم توقفه في العين"[1]، كما سيتضح ذلك في الدراسة التي بين أيدينا.

أولاً: الطبيعة النباتية في شعر ابن الرومي:

عندما نتأمل في جمال الطبيعة بألوانها وزهوها ورونقها نكتشف أن "عالم النباتات الرائع يستحق منا أن نتوقف عنده لمعرفة طريقه وحقائقه؛ لأن ذلك يساعدنا دون شك على معرفة أكثر عمقا ودقة بحقائق الكون الذي ننتمي إليه، وهذا ما يساعدنا على معرفة أكثر لأنفسنا، فنحن في النهاية ننتمي إلى الكائنات الحية"[2]، وابن الرومي من الشعراء الذين وصفوا الطبيعة النباتية وجسدوها في أشعارهم بأصدق تعبير وأرق أسلوب وأجمل لغة، "فهي في شرعه عالم الإنسان نفسه، لذلك كان دائما يضفي عليه حالاته الداخلية ويحمله ما يزخر به وجدانه من انفعالات"[3] حيث نجد أن الطبيعة كانت تجسد له مكانة تتماثل مع مكانة المرأة في أشعار الشعراء وشعره، وقد قارن ابن الرومي بينهما، فللاثنين جمال متشابه وحس مثير، فهما يرغمان الشاعر على أن يبث في شعره إحساسه المرهف بهما، كما أننا نجده - في الغالب - يشبه الطبيعة بالمرأة، ويعطيها الحياة ليعبر عن مشاعره تجاهها، فيقول:[4] (الرجز)

---

[1] الحوفي، أحمد محمد، أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي ، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ، ١٩٥٨، ص ٦٣- ٦٤.

[2] إلفانا، مصطفى حمود، موسوعة علم النبات، مراجعة الدكتور محمد حمود، ط٢، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٥م، ص٣ ، ٤.

[3] خلف، سلام أحمد، الأثر النفسي للطبيعة في شعر ابن الرومي، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بغداد، العدد ٧٤، بغداد، ص٦٨.

[4] ابن الرومي، أبو الحسن، علي بن العباس بن جريح، الديوان، ت: حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١م، ج٣، ص٩٩٣.

أصبحت الدنيا تروق من نظر

بمنظر فيه جلاء للبصـر

واها لها مصطنعا لمن شكر

أثنت على اللـه بآلاء المطر

فالأرض في روض كأفواف[1] الحبر

نيرة النوار زهراء الزهر

تبرجت بعد حياء وخفر

تبرج الأنثى تصدت للذكر

في هذا النص اللطيف، نلاحظ أن الشاعر يعبر عن إعجابه بالربيع، وبمفاتن الطبيعة عندما يصف خضارها وأزهارها، ويحاول تشبيهها بمفاتن المرأة الجميلة، كما يصور من خلال هذا النص شدة إعجابه وذهوله ودهشته، فنجده يعمد إلى استخدام الوسائل البلاغية، فهو يشبه الطبيعة الفاتنة بالمرأة التي تزينت ولبست أجمل ما لديها من حلي ولباس لحبيبها، ليراها بأحسن مظهر، وأجمل شكل، وأبهى صورة، ونجده لا يغفل عن وصف حيائها وصدها، فكلما

[1] الأفواف: جمع فوف هو القطن، وواحدة الفوف فوفة، وهي في الأصل القشرة التي على النواة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة فوف.

زاد فيها؛ زادت جمالا ورونقا، كذلك الربيع كلما زادت فيه الخضرة والأزهار؛ ازداد جمالا وجاذبية.

تعامل ابن الرومي ههنا مع زهو الربيع الطبيعي، فاستخدم مثيرات الجمال من خلال استخدامه لحاسة البصر والصورة البصرية، مما جعل المتلقي يستمتع بمنظر المطر الجميل وعطائه الواسع للأرض التي استقت منه، فأثمرت وأزهرت الزهور بمنظرها الخلاب، ثم صور لنا حمدها لله وشكره شكرا جزيلا على كرمه وغزارته الكبيرة.

كما نلحظ أن الشاعر عمل على المزج بين الجمالين الأخاذين؛ جمال النساء الحسناوات المتبرجات وجمال الطبيعة اليانعة المسقية بماء المطر، والأرض المنعمة بنعمة الله مما ترك أثرا نفسيا واضحا لدى المتلقي عندما استشعر جمال الألوان المتصورة من زهر الأرض المضافة إلى أجزاء الصورة التي تتوافق مع جمال النساء، كل هذه المثيرات أظهرها شاعرنا ليفصح عما في داخله من حب للربيع ومدى استمتاعه بمناظره.

وفي صورة نباتية أخرى، نجد أن ابن الرومي يقدم صورة عكسية يظهر فيها بشاعة إحدى القينات (كنيزة)، وهو يهجوها بهجاء لاذع:[1](السريع)

وقينة أبرد من ثلجه تظل منها النفس في ضجه

ما أكذب المطنب في وصفها لا صدق الله له لهجه

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص٥٠١.

فظيعة فالحلق في سكتة وبطنها القرقار[1] في رجه

خالصة النتن ولكنها في ريقها من سلحها[2] مجه[3]

كأنها في نتنها ثومة لكنها في اللون أترجه[4]

تبدو بوجه قحل[5] يابس قد نزعت من صحنه البهجه

من الواضح أن الشاعر كان مستاء جدا من هذه القينة، لذا حاول أن يقدمها بأبشع صورة وأسوأ لون، واتخذ من الرائحة الكريهة لنبات الثوم عندما يبقى عالقا في فم الإنسان وجسمه؛ مصدرا تشبيهيا لنتانة رائحة تلك القينة، ثم قدم صورة عكسية لجمال صفار لون فاكهة الأترج، فهذه الفاكهة على قدر جمال لونها الزاهي بالصفار، صار صفة قبيحة عندما شبهه ابن الرومي بلون القينة.

وفي الحقيقة أنه اتخذ من الطبيعة متكأ لإضفاء صفات عكسية على المهجوة، حيث شكل صورة متكاملة العناصر الفنية، يجتمع فيها العنصر البصري المتمثل بوضوح صورتها ذات الوجه القحل اليابس، والعنصر الشمي ليظهر لنا نتانة رائحتها المتشابهة مع رائحة الثوم، والعنصر السمعي الذي يبدو من خلال سماع صوت قرقرة بطنها.

---

[1] القرقر والقرقرة: أرض مطمئنة لينة. وورد في وقرقر البطن: صوت من جوع أو غيره. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة قرر.

[2] سلحه: يقال للذباب ونيم الذباب سلحه، والونيم خرء الذباب. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة نم.

[3] مجه: مج الشراب والشيء من فيه يمجه مجا ومج به: رماه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة مجج.

[4] الأترجة: الشيء المصبوغ بالحمرة صبغا مشبعا. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ترج.

[5] قحل: اليابس من الجلود. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة قحل.

إنها في الحقيقة صورة قوية مأخوذة من الواقع الاجتماعي الدال على إحساس الناس عندما يستاؤون من قلة النظافة وفواح الرائحة الكريهة، بل هي صورة تدل على شخصية العربي المسلم وإحساسه المرهف، فهو يعشق الرائحة الطيبة والوجه الحسن والمنظر الجميل اللائق.

أ- الأشجار المثمرة:

تناول الشعراء الأشجار المثمرة في مقطوعات، وعبروا عن مشاعرهم تجاه هذه الأشجار، حيث ورد العديد من أسماء النباتات والأشجار في القرآن الكريم: كالتين، والزيتون، والرمان، والعنب، والخردل، والزنجبيل، والبقول، والثوم، والبصل، والسدر. واستخدمها الشعراء في شعرهم لأغراض عديدة للمدح والوصف والغزل.. الخ.

- النخيل:

يعد النخيل من أجمل وأجل الأشجار، وله أبهى المناظر والصور، يعرف بشموخه وعلوه، يزداد شموخا كلما علا وارتفع. إن للنخلة مكانة عند المجتمع العربي يتباهون ويتفاخرون بها، ويعدونها من مكملات البيئة العربية، وكأنها تعكس صورة الشموخ والعلو الذي بداخلهم، لذلك حاولوا بكل طاقاتهم تبجيلها وإعلاء مكانتها، كما أن للنخلة "أسماء حددها العرب من صغرها إلى أن تكبر، وكذلك الرطب من طلعه إلى أن يصير رطبا"[1].

كما أن العرب سمت صغار النخل بمسميات جميلة تدل على اعتزازهم بها واهتمامهم، "فقالوا لصغار النخل: الهراء، والودي، والفسيل، والأشاء. وقالوا لثمره: طلع ثم خلال- بالفتح- ثم بلح، ثم بسر، ثم رطب، ثم تمر، وقد أظهر شعراء العصر العباسي إعجابهم بالنخل وتعلقهم به، وكان ابن الرومي يفضل النخيل على سائر الزروع"[2].

---

[1] حسن، رشدي علي، شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني، مؤسسة الرسالة، دار عمار، عمان، ط١، ١٩٨٨م، ص٧٣.

[2] المرجع نفسه، ص ٧٣.

يقول ابن الرومي في وصف النخيل وتفضيله على باقي الأشجار:[1] (مجزوءالرجز)

يفي بإبطاء جنى النـ نخـــل[2] إذا ما غرسا

عقبى له محمودة إذا تعالى ورسا[3]

يبقى على الدهر إذا عود سواه يبسا

جرى مع الزرع إلى الـ فضل فكان الفرسا

يصف ابن الرومي النخلة ويذكر صفاتها المعنوية مستثمرا علو ساقها وارتفاعها العالي وفوائدها الجمة، حتى وإن أصابها اليبس؛ ففوائدها كثيرة ومهمة، إذ جعلها ترتقي كارتقاء الفرس بين أقرانه.

كما نلحظ في هذا النص أن الشاعر يحاول إيصال فكرة تظهر أن النخلة مهمة وثمينة تستحق الرعاية والاهتمام، فهي تعطي أكثر مما تأخذ، وعطاؤها واسع وكثير، وهو بهذا الوصف الرقيق والدقيق يستغل فعل الزمان والدهر بسائر الخلق والمخلوقات، لذا استغل أصلب وأطول شجرة عمرا ومتانة تتحمل وتعمر، ولها صفات لا مثيل لها.

ونراه في قصيدة أخرى يمدح أبا عيسى العلاء بن صاعد[4]، ويشبهه بالنخلة في كرمها وعطائها وعزها وشموخها، فيقول:[4] (الطويل)

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص١١٦٧.

[2] جنى النخل: أي الطيب من حصاد النخيل. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة جبح.

[3] رسا الشيء يرسو رسوا وأرسى: ثبت. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة رسا.

[4] أبو علاء صاعد البغدادي: ولد حوالي سنة ٣٢٩هـ أو ٣٣٠هـ أو ٣٣٩هـ، وقرأ بالموصل على مشايخها قبل أن ينتقل إلى بغداد ودرس على أبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي وغيرهما، توفي بصقلية سنة ٤١٠ أو سنة ٤١٧هـ. ينظر: البغدادي، أبو علاء صاعد، الفصوص، ت: عبد الوهاب التازي، ج١، ١٩٩٣م، ص٣ (المقدمة).

[4] ابن الرومي، الديوان، ج٤، ص١٤٢٧، ١٤٢٨.

سما فوق من يسمو وجاد فزايل[1] والمعروف منه مخالط بسيبه[2]

هو النخلة الطولى أبت أن تنالها يدان ولكن ينعها متساقط

إن الحكمة في هذين البيتين أن للنخلة سمات عالية وراقية تعلو كلما علت وارتفعت، وهذه السمات متمثلة بشخص أبي علاء ومقداره، مما جعل شاعرنا يتخذها سببا في مدح البغدادي؛ لأن الوصول لرضاه صعب وشاق؛ وذلك يعود لمكانته العلمية والثقافية التي من الصعب الوصول إليها أو إرضائه بما هو يستحقه.

"إن الحكمة في بيتي الشاعر تتجسد في عنصرين متماثلين متقابلين في الممدوح والنخلة، العنصران يتجليان في قوله (سما)، وقوله (طولى)، فالسمو هو الارتفاع والعلو"[3] وهذان العنصران ثابتان بالأصل في النخلة الشامخة منذ أن خلقها الله تعالى اسمه، وجاءت صفات الممدوح تتشابه معها في القوة والمتانة، فهي طويلة وبقدر طولها وأكثر، هي كريمة كلما طالت أكرمت؛ لذلك اتخذها الشاعر سمة مميزة في شخص الممدوح.

وفي موضع آخر، يتخذ من النخلة وعطائها الكريم أداة للإفصاح عما في داخله عن الأشخاص المماطلين المسوفين، فيقول مازجا الحكمة بالطبيعة:[4] (المتقارب)

رأيت التقاط جنى نخلة إذا ساقطته ولم ترقها

أكن لكفك من شوكها وإن هي لم توفها حقها

---

[1] السيب: العطاء، والرف، والنافلة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سيب.

[2] زايل: تباين، وتفارق. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة زيل.

[3] يقال للحسيب وللشريف: قد سما. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سما.

[4] ابن الرومي، الديوان، ج٤، ص١٦٥٩.

لقد أحسنت نخلة أنزلت على كف ممتاحها[1] رزقها

وما جشمت[2] كفه شوكها ولا جشمت رجله سحقها[3]

ففي هذا النص نلاحظ أن الشاعر يبدأ بالفعل الماضي بقوله (رأيت)، وكأنه يريد من خلاله تصوير الرؤية للمماطلين والمتقاعسين، وبمقابلها مدى عطاء النخلة وكرمها، فيتبعها بأفعال تظهر صور هذه الرؤية (أحسنت، أنزلت، جشمت). أي أن الأمرين يحتاجان لنظرة مقارنة بين الماضي والحاضر تظهر مدى الفرق بين الأمرين أو الحالتين.

ونجده يصف نوعا من أنواع التمور يسمى (البرني) ومذاقه اللذيذ المعسل، وألوانه المزركشة التي تشبه لون الذهب، فيقول:[4] (الطويل)

بعثت ببرني[5] جني كأنه مخازن تبر قد ملئن من الشهد

مختمة الأطراف تنقد قمصها[6] عن العسل الماذي[7] والعنبر الهندي

---

[1] ممتاح: يقال امتاح فلان فلانا إذا أتاه يطلب فضله، فهو ممتاح، وفي حديث عائشة تصف أباها، رضي الله عنهما، فقالت: وامتاح من المهواة أي استقى؛ هو افتعل من الميح العطاء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ميح.

[2] جشم: كلف. ينظر: المصدر السابق، مادة جشم.

[3] سحق : البعد. ينظر المصدر السابق، مادة سحق.

[4] ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص٨٠٧.

[5] البرني: ضرب من التمر أصفر مدور، وهو أجود التمور، والبرني ضرب من التمر أحمر متشرب بصفرة كثير اللحاء عذب الحلاوة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة، برن.

[6] القماص: أن لا يستقر في موضع تراه يقمص فيثب من مكانه من غير صبر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة قمص.

[7] الماذي: العسل الأبيض. والماذية: الخمرة السهلة السلسة، شبهت بالعسل. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة مذي.

ينقل من خضـر الثياب وصفرها إلى حمرها مابين وشي إلى برد

إن الشاعر في هذا النص يتغنى بالتمر البرني ومذاقه اللذيذ وألوانه الزاهية اللطيفة التي تتلاءم مع مذاقه الطيب المتشابه مع مذاق العسل، وهو عندما يستحضر هذه الصورة اللطيفة للبرني يدرك أن ما يحمله هذا التمر من مذاق مؤثر في النفس، سيؤثر أيضا على المتلقي .

كما نلاحظ أن الشاعر في حقيقة الأمر يظهر مدى معرفته بالطبيعة الخلابة بألوانها وثمارها ومذاقها، ويحاول جاهدا أن يركز على القيمة المعرفية بالطبيعة المستمدة من روحه الرقيقة الشفافة، وهو بهذا يؤكد أن أبناء المجتمع في ذلك العصر كانوا حريصين على التعرف إلى كنوز الطبيعة، وكانوا ولوعين بقيمتها؛ لأنهم يدركون أن الطبيعة عندما تضاف إلى النصوص الشعرية هي في حقيقة أمرها تعطيها من جمالها ومذاقها.. وخاصة شاعرنا ابن الرومي، فكما يقول شوقي ضيف: "بلا ريب يتقدم ابن الرومي شعراء العربية عامة في الإحساس بخفقات الطبيعة وهمساتها وكل حركة فيها، حتى ليتشابه في هذا الجانب مع بعض الوجوه لشعراء الرومانسية الغربية الذين يتفننون في الطبيعة، ويحسون امتلاءها بالحياة، فكل ما فيها حي متحرك ناطق، وكل ما فيها يخفق بالأحاسيس والمشاعر"[1].

ـ العنب:

وكما أبدع ابن الرومي في وصف النخيل، فقد أجاد كذلك في وصف العنب بأنواعه وألوانه، فهو من الشعراء الأوائل الذين تغنوا بهذه الفاكهة اللذيذة والمفيدة، فلا يخفى على الجميع فوائد العنب وقيمته الغذائية، والشاعر كان يعي قيمة هذه الثمار التي أكرمنا الله تعالى بها، فأحسن وصفها وأجاد فيه؛ فكما يقول وهو يصف نوعا من العنب المسمى بـ "الرازقي"[2] الذي يشبهه بالبلور المعلق

---

[1] ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، ط ١٢، القاهرة، دار المعارف، د.ت، ص٢٣٤.

[2] العنب الرازقي: ضرب من عنب الطائف أبيض طويل الثمرة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة رزق.

في آذان الحسان، كالقرط الذي يتلون بلون الورد الجوري، والذي يرطب الأفئدة فلا يشعر الإنسان بحر الصيف وهو يتناوله:[1] (الرجز)

ورازقي مخطف الخصور

كأنه مخازن البلور

قد ضمنت مسكا إلى الشطور

وفي الأعالي ماء ورد جوري[2]

لم يبق منه وهج الحرور

إلا ضياء في ظروف نور

لو أنه يبقى منه على الدهور

قرط[3] آذان الحسان الحور

بلا فريد وبلا شذور

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص٩٨٧، ٩٨٨.

[2] جوري: نسبة إلى جور، مدينة فارسية ينسب إليها الورد، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة جور.

[3] قرط فرسه اللجام: مد يده بعنانه فجعله على قذاله، وقيل: إذا وضع اللجام وراء أذنيه. ويقال: قرط فرسه إذا طرح اللجام في رأسه، وجارية مقرطة: ذات قرط. ويقال للدرة تعلق في الأذن قرط، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة قرط .

له مذاق العسل المشور

ونكهة المسك مع الكافور

ورقة الماء على الصدور

وبرد مس الخصر المقرور()

باكرته والطير في الوكور

وعذر اللذات في البكور

عند التأمل في هذا النص نلاحظ أن الشاعر ملم باتجاهات متعددة، فهو ليس شاعرا فحسب! إنما هو شخصية عارفة بالأمور الطبية والصحية والجغرافية والفنية، أي هو ملم بالمعرفة وأبعادها وقد ذكر أشياء مفيدة وجميلة ورقيقة في هذا النص ، فهو يذكر ثمرة العنب الرازقي وكأنه يتغزل به كما يتغزل الحبيب بحبيبته، فيصفه بمخازن البلور، وليس البلور فحسب، بل يصف رائحته العذبة التي طالت شطور أبيات الوصف، وكأن رائحته العطرة تتشابه مع عطر ورد الجوري، ثم ينتقل شاعرنا من وصف الرائحة بذكائها إلى تعريفنا بفوائد هذه الفاكهة التي تطفئ نار الحر في فصل الصيف الحار، ثم ينتقل انتقالة فنية طريفة بقوله:

لو أنه يبقى منه على الدهور

قرط آذان الحسان الحور

لقد أجاد الشاعر في وصف صورة الفاكهة وصورة تجفيفها وخزنها، إلى أن تصبح كالقرط الذي تستخدمه النساء، فيبقى مدة طويلة دون أن يصيبه العفن بل

() يوم مقرور وقر وقار: بارد. وليلة قرة وقارة أي باردة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة قرر.

يبقى بشكله الجميل وكأنه قرط النساء في حلاوته وجماله، وكأنه يحاول بكل طاقاته المعرفية والفنية والأدبية تقديم صورة تدهش السامع لهذه الفاكهة. وهذا ليس غريبا في شعر ابن الرومي، حيث إن" الصورة عنده تقوم بوظيفتها الفنية والنفسية والفكرية، هي ليست حلية للزينة في أغلب الأحيان، بل هي الخيط الأجمل والأهم في نسيجه الشعري"[1].

ونجده في نفس القصيدة يصور جلسة أنس مع أقرانه، ويرسم صورة عناقيد العنب وهي على حافة نهر من الماء الصافي، يصوره ينساب مثل الحية بهدوء وسلاسة بين الأشجار والنباتات، ثم يصور مشهد تأثره بجمال الطبيعة لدرجة أنه صنع لوحة جميلة استعمل فيها ألوانا متناسقة من الألفاظ تلاءمت تلاؤما تاما مع المعنى، فيقول:[2] (الرجز)

ثم جلسنا مجلس المحبور[3]

على حفافي جدول مسجور[4]

أبيض مثل المهرق[5] المنشور

أو مثل متن المنصل[6] المشهور

---

[1] الصفدي، ركان، ابن الرومي الشاعر المجدد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٢م، ص٢٠٠.

[2] ابن الرومي، ديوانه، ج٣، ص٩٨٩.

[3] المحبور: المسرور. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة حبر.

[4] المسجور: الهادئ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سجر.

[5] المهرق: الصحيفة البيضاء يكتب فيها، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة هرق.

[6] المنصل: السيف. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة نصل .

ينساب مثل الحية المذعور

بين سماطي[1] شجر مسطور

ناهيك للعنقود من طهور

فنيلت الأوطار في سرور

وكـــل ما نقضـــى مـــن
الأمـور

تعـلـــــة عـــن يـومنا
المنظـــــور

ومتـعة مـــــن متـــــع
الغـــــــــرور

إن المتطلع إلى النص السابق يجد أن الشاعر لا يتوقف عن استغلال الطبيعة في تصويره لكل منظر، فهو قد "أفرغ في العنب الرازقي شاعريته الفذة وحلق معه في سماوات الإبداع الفني"[2]، وكأن هذه الثمرة محبوبة يتغزل بها ويتهامس معها ويصف صفاتها وتفاصيلها الدقيقة، أو ممدوح يسامره ويتألق في تصويره ليصل لغاية مخططة مرجوة منه.

---

[1] السماط: الصف. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سمط.

[2] السوداني، صفية عبد القادر إسماعيل، الوصف في شعر ابن الرومي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٥م، ص٢٠٧.

ولم يكتف الشاعر بوصف العنب الناضج والطازج بألوانه وحجمه ونعومته ولذة مذاقه، فنجده هذه المرة ينظم قصيدة طويلة قالها في أبي سهل بن نوبخت[1]، يصور فيها حصرم العنب ويشبهه بالزبرجد فيقول:[2] (الخفيف)

حصرم من زبرجد[3] بين نبع من يواقيت جمرها غير خاب

فوق لبات غادة تترك الخا لي من كل صبوة وهو صاب

يتخذ الشاعر هنا من حصرم العنب عاملا مساعدا في تصويره، حيث يصور جارية تسقيه الخمرة، مرتدية في عنقها عقدا حباته كأنها -حبات العنب- الذي يكون في أول طلعته "حصرما" حبات صغيرة خضراء اللون تشبه الزبرجد "الحجر الكريم" في شكلها وجمالها، ويسترسل في وصف حبات العقد المترابطة برباط كالياقوت الأحمر، "بين نبع من يواقيت"، كناية عن لونها الأحمر كحمرة الجمرة المتوقدة، وهذه الحبات المترابطة مرصوصة فوق " لبات" صدر الجارية، من جمالها وجاذبيتها تثير الإعجاب والدهشة؛ لدرجة أنها تجعل العجوز الكهل الذي لا تشغله صبوة الفتوة وفتنة الشباب ولهو الحياة، يعود كالصبي المتصابي في طيش الشباب "غادة تترك الخالي من كل صبوة وهو صاب".

إن الصورة الحقيقية في أبيات الشاعر هنا ليست في مدى تصويره للعنب واستغلاله لثمار الفاكهة والطبيعة،بل الصورة الحقيقية تظهر لنا مدى قابلية الشاعر في جعل الثمار هذه تحرك أحاسيس المتلقي ؛ حيث إنها تجاوزت حد صورة العنب إلى صورتين مكتملتي الجمال، الأولى: صور فيها شاعرنا صورة الجواهر الكريمة المثيرة لحسن الجارية، الجواهر بلونها البراق المتلألئ

---

[1] أبو سهل إسماعيل بن علي بن نوبخت، بغدادي من غلاة الشيعة، وكبار مصنفيهم، مات في الغيبة، وقام بالأمر في الغيبة ابنه، ثم مات ابنه.. ولأبي سهل كتاب الإمامة، والرد على الغلاة، نقض رسالة الشافعي. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، الجزء ١٥، ص ٣٢٧.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص٢٨٣.

[3] الزبرجد: الزمرد: حلي من زينة النساء، كالرشأ المقلد درا مع الياقوت، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة زبرجد.

على عنق الغادة، والتي جعلت من الكهل شابا رقيق الإحساس متفاعلا مع الجمال وجاذبيته، تلك الغادة التي أصابت في اختيارها لعقدها المدهش، والثانية: صور فيها الأحاسيس الرقيقة المتفاعلة مع تلك المثيرات الرقيقة، فصور أحاسيس الشاعر والفنان والرجل العربي الذي تثيره مثل هذه الدقائق البسيطة من جمال الأنثى وجاذبيتها.

- الموز:

إن من أكثر إبداعات شعر ابن الرومي أنه يجعل الطبيعة مرتبطة بتفاصيل الحياة، حيث نجده يقيم مشاركة بين ثمار الفاكهة وجزئيات الوجود الإنساني، جزئيات الحياة بتفاصيل لا يمكن أن تتوقعها من الإنسان في ذلك الوقت، وفي الحقيقة هذه التفاصيل تجعلنا ننبهر وبكل مرة مجددا بذلك العصر وذلك الزمان، كيف كان تفكير العربي؟ كيف يقدر الأشياء؟ كيف ينظر بدقة لتفاصيل الحياة، ويتخيلها ويصورها ويحللها؟ وهذه المرة وجدنا شاعرنا يربط فاكهة الموز بما يهم الإنسان في حياته بعدة أمور بالفوز والنجاح والفرح، ويربطه بالموت والنهاية والخسران، وكل هذا من خلال تبديل حروف هذه الفاكهة اللذيذة بحروف أخرى، ويعقد مقارنة بينهما، يقول ابن الرومي في قصيدة[1] مادحا فيها الحسن بن عبيد الله بن سليمان:[2] (الخفيف)

أحمد الله نية وثناء غدوة بل عشية بل مساء

بل جميعا، وبين ذلك، حمدا أبديا يطبق الآناء

حمد مستعظم جلالا عظيما من مليك، وشاكر آلاء

ملك يقدح الحياة من المو تى، ويكفى بفضله الأحياء

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص٦١.

[2] هو الحسن ابن الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي، توفي سنة ٢٨٨هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، الجزء١٤، ص ١٨.

صاغنا ثم قاتنا ووقانا بالتي نتقى بها الأسواء

من بناء يكننا، ولبوس ودواء يحارب الأدواء

ثم أهدى لنا الفواكه شتى والتحيات، جل ذاك عطاء!

عظمت تلكم الأيادي وجلت فاذكر الموز، واترك الأشياء

إنما الموز حين تمكن منه كاسمه مبدلا من الميم فاء

وكذا فقده العزيز علينا كاسمه مبدلا من الزاي تاء

فهو الفوز مثلما فقده المو ت لقد بان فضله لا خفاء

ولهذا التأويل سماه موزا من أفاد المعاني الأسماء

رب فاجعله لي صبوحا وقيلا وغبوقا() وما أسأت الغذاء

وأرى بل أبت أن جوابي لا تغالط فقد سألت البقاء

يربط الشاعر في قصيدته بين مكارم الحسن والموز، بعد أن استعرض صفات الممدوح وعطاياه، ومن خلال استغلال حروف الموز وتبديلها في معاني الكلمات، أظهر شكره لله تعالى على نعمه الكثيرة التي ظهرت في شخص الحسن وبفوائد هذه الفاكهة، التي يتمنى من الله أن تكون غذاءه الدائم في كل الأوقات، وبهذا يظهر أهمية هذه الفاكهة قبل لذتها؛ لذا يرجو من الله -عز وجل-

() غبوق: شرب العشي . ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة غبق.

أن يديمها عليه، غير إن شاعرنا فيما يبدو أنه كان يتأمل بهذه القصيدة إيصال صوته للحسن.

لقد عهدنا ابن الرومي يعشق كل جمال ويتلذذ به غراما، وبكل لذة وقوة، وعهدناه يسترسل في الوصف، ويحاور الأشياء ويجاريها ويتغزل بها؛ لذا نجده يتجاوز في وصف فوائد الموز بقوله:[1] (الرجز)

للموز إحسان بلا ذنوب ليس بمعدود ولا محسوب

يكاد من موقعه المحبوب يدفعه البلع إلى القلوب

يصف الشاعر في البيتين عذوبة الموز وفائدته للجسم وسهولة تناوله ومضغه، من غير أن يكون له أي ضرر في الجسم، أو صعوبة ومعاناة في الأكل والمضغ.

إن الشاعر يستثمر البيئة في شعره، "لأن الشعر وليد البيئة الطبيعية ومتأثر بها"[2]، فهي من "أعظم العوامل المؤثرة في الأدب، بل هي واقع أمره وبقوة وقعها تعتبر الخالقة لبعض فنونه المكونة لأكثر عناصره، إنها تخلع عليه جميع ألوانها وتهب له كل مظاهرها"[3].

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص٢٠٩.

[2] الحوفي، أحمد محمد، أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط١، ج١، ص١٧٢.

[3] عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ط ٥، دار الثقافة بيروت، ١٩٧٨م، ص١٩٥.

- التفاح:

التفاح من أكثر الفاكهة انتشارا في شعر الشعراء؛ لأنه مرتبط بالرهفة والإحساس والجمال، كما أن جمال المرأة الفاتنة بخدودها ونضارتها وجاذبيتها مرتبط بهذه الفاكهة، "حتى إن أوصافه متشابهة عند جميع الشعراء ولا تكاد تخرج عن دائرة خدود العاشقين أو الخدود التي اعتراها الخجل"[1] ولم يفت ابن الرومي أن يستحضره في قصائده، يقول على لسان التفاحة:[2] (المنسرح)

أرسلني عاشق بحاجته فجئت بين الرجاء والوجل

لا تخجلني بالرد، حسبك ما ترى بخدي من حمرة الخجل

يربط الشاعر في هذين البيتين بين لون التفاح الأحمر ولون خدوده المحمرة من شدة الخجل، في معرض حواره مع محبوبته المعشوقة بأن جعل التفاح رسولا بين العاشق ومعشوقته، مبينا مشاعره الرقيقة تجاهها وإحساسه المرهف.

ونجده يستثمر التفاح في مديحه لإسماعيل بن بلبل[3] فيقول في مطلع قصيدة طويلة كأنها غصن من الطبيعة في فصل الربيع:[4] (البسيط)

أجنت لك الوجد أغصان وكثبان فيهن نوعان تفاح ورمان

وفوق ذينك أعناب مهدلة سود لهن من الظلماء ألوان

---

[1] حسن، رشدي، شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني، مرجع سابق، ص٧٧.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٥، ص١٨٩٤.

[3] إسماعيل بن بلبل الشيباني: أحد الشعراء والبلغاء والأجواد الممدوحين، وزر للمعتمد في سنة خمس وستين ومائتين بعد الحسن بن مخلد ثم عزل ثم وزر.. توفي سنة ثمان وسبعين ومائتين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، الجزء ١٣، ص ٣٤٤.

[4] ابن الرومي، الديوان، ج٦، ص٢٤١٨.

إن الشاعر في افتتاحيته الغزلية لهذه القصيدة لا يخرج عن طريقة الشعراء في نظم قصائدهم، ولكننا نجده هذه المرة يجمع الطبيعة بأغصانها وكثبانها وفاكهتها الريانة وألوانها الزاهية في مديحه، هو يعبر عما يجول في خاطره من وله وحب للطبيعة.

فالقارئ لهذين البيتين يتوقف أمام قوله: (نوعان تفاح ورمان) هي فاكهة مألوفة لدينا من الممكن أن نذكرها كل يوم ونسمعها من شعراء متعددين، لكنه قالها بتلقائيته المحببة، جعل المعنى يقتحم القلب في افتتاحيته المدحية، ليحرك من خلالها العواطف تحريكا رقيقا يتساوى وحجم هذه الفاكهة، أي إنه ربط بين المعنى الحسي والمعنوي في دمجه بين المشاعر والفاكهة.

- المشمش:

من الأشجار المنتشرة كثيرا وفوائدها لا تقل أهمية عن غيرها من الفاكهة، بل من الممكن أنها تتفوق على الكثير منها، واستخداماتها متعددة في الغذاء ويوصف لعلاج المرضى، فذكره ابن الرومي، ولكنه يذم المشمش:() (الطويل)

إذا ما رأيت الدهر بستان مشمش فأيقن بحق أنه لطبيب

يغل له ما لا يغل لربه يغل مريضا حمل كل قضيب

في هذين البيتين يظهر الشاعر كرهه للمشمش، حيث إنه يقلب الموضوع المعتاد عليه في وصف الفاكهة والتلذذ بطعمها وحلاوتها وذكر فوائدها للجسم وصحة الإنسان، إلى ذمها بجعل فائدة المشمش لا تعم صاحب البستان الذي يزرعه ويرعاه ويحصده؛ ومن ثم يستفيد الناس منه؛ بل على الطبيب الذي ينتفع بمرض الناس من جراء تناولهم منه.

ب- الأشجار غير المثمرة:

اهتم شعراء العصر العباسي كثيرا بجمال الطبيعة في كل أنواعها، حيث إنهم لم يتركوا شيئا وقعت عليه أعينهم إلا صوروه ورسموه وجعلوا منه لوحة يتفاعل

() ابن الرومي، الديوان، ج١، ص٣١٤.

بها المتلقي مع الرسام في نسيجها وألوانها، الطبيعة التي أكرمنا الله - عز وجل - لنتنعم بها.

إن الشجر بكل أنواعه وألوانه كان ملهما للشعراء في كل العصور، فكيف إذا كان في ذلك العصر، خاصة أن تأثير رقة الحياة جعلتهم يهتمون بتفاصيل رهفة الشعور والحس الرقيق، والشجر بلونه الأخضر الناصع والداكن والباهت كان منهلا ينهلون منه صورهم وتشبيهاتهم، وينمون من خلاله خيالهم وإبداعاتهم الفنية، فكانت الأشجار غير المثمرة حاضرة في الشعر العربي في العصر العباسي ؛ لأنهم كانوا يعون تمام الوعي فائدتها وأهميتها، فليست الثمار التي تؤكل فقط هي المفيدة في الحياة وللإنسان، وليس كل ما يملأ البطون ويقي من الجوع والعطش هو هم -الإنسان والشاعر- إنما هناك الطبيعة، الطبيعة التي تمد الروح بالجمال والنضارة والفيء والظل والهواء والنسيم، الأشجار التي فيها شفاء للعليل وفيها شفاء للمهموم، وفيها الخضرة الممتدة على مدار العام، كل هذه الطبيعة التي يراها الشاعر لا تقل أهميتها عن أهمية الثمرة وسد الجوع والشهوة.

وشاعرنا في ذكره لهذا النوع من الطبيعة والشجر يعرفنا بطبيعة الأرض التي ينتمي إليها، وببغداد كيف كانت وكيف تكتسي بالخضرة والألوان والثمار والورود والزهور؛ حيث يصورها أنها أرض شاسعة كبيرة،كما يكشف عنها في قصائده وأبياته.

فمن الممكن أن يتبادر إلى الذهن من الوهلة الأولى أن بغداد والعراق عبارة عن صحارى كبيرة جرداء حارة متربة، تهب فيها الرياح والعواصف المغبرة وتتطاير في أرجائها الأتربة، لكن من وصف الشعراء- وشاعرنا ابن الرومي من السباقين في هذا الموضوع- نكتشف أن بغداد كانت أشبه بالجنة في جمالها وخصوبتها، لقد قال أبو إسحاق الزجاج في بغداد:" بغداد حاضرة الدنيا وما عداها بادية"[1]، فهي جميلة تذهل الناظر وتسحر الشاعر؛ لذا قال شاعرنا في شجر الطلح[2]، وهو يمدح صاعد بن مخلد[1] في قصيدة طويلة:[1] (الطويل)

---

[1] الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر بيروت لبنان١٩٩٧م، ج١، ص٤٦١.

[2] الطلح: هي أشجار شاكة، يصل ارتفاعها إلى حوالي ٥-٨ متر، وتعيش في أودية جبال الحجاز وثمرتها تسمى العلف. ينظر: البتانوني، كمال الدين حسن، نباتات في أحاديث الرسول، دار إحياء التراث، الدوحة قطر ١٩٨٦م، ص١٠٠.

تدبرنا منكم نجوم ثواقب تبهرم في تدبيرها وتعطرد[٢]

حماة وكتاب تسوس أكفكم رماحا وأقلاما بها الملك يعمد

معربة أقلامكم نبتت لكم بحيث التقى طلح وضال[٤] وغرقد[٥]

لذلك آختها الرماح فأصبحت تقوم في أيديكم وتأود

تتجلى الطبيعة في هذا النص في استحضار الشاعر للطلح والغرقد، حيث صور الشاعر أقلام الممدوح وكأنها هذه الأشجار بمتانتها وعرقها وقوتها، كما أن شجاعته تظهر من خلال تشابه الأقلام والرماح في يديه وكأنهما سيان لا فرق بينهما؛ من جراء شجاعة الممدوح وقوته الصارمة.

() صاعد بن مخلد: هو الوزير الكبير أبو العلاء الكاتب، أسلم وكتب للموفق، ثم وزر للمعتمد، توفي سنة ست وسبعين ومائتين، ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، الجزء١٣، ص٣٢٦.

() ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص٥٩٤.

() عطارد: كوكب لا يفارق الشمس. وهو كوكب الكتاب، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة عطرد.

() الضال: هو السدر البري غير مهموز، وهو ما كان عذبا واحدته ضالة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ضيل.

() الغرقد: شجر عظام وهو من العضاه، واحدته غرقدة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة غرقد.

ويمدح أبا العباس بن ثوابة ويهجو الكوكبي[1] ويستحضر شجر الحنظل[2] بقوله:[3]

ولرب مثلك قد أطلـ ت على خطيئته انتحابه

حتى غدا بعد المرا ح عليه سر بال الكآبه

مترقبا من فوقه يخشى عذابي وانصبابه

وأنا الذي قدح الهجا ء بزنده قدما شهابه

وأنا الذي من أرضه يمتار حنظله وصابه[4]

من الملاحظ أن الشاعر يستغل مرارة الحنظل في هجائه للكوكبي، فهو يراه أشد مرارة منه وأغلظ من الحديد في شدته، ويراه يحمل كل الصفات اللئيمة والقاسية.

وقال ابن الرومي في الغزل مستحضرا شجر الأراك:[5] (الطويل)

تعنت بالمسواك أبيض صافيا تكاد عذارى الدر منه تحدر

---

[1] أبو العباس، أحمد بن محمد بن ثوابة الكوكبي، الكاتب النصراني الأصل، توفي سنة ٢٧٧هـ أو سنة ٢٧٣هـ، ينظر: المزيد في الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، ج٤، ص١٤٤، ١٧٤، مصدر سابق.

[2] الشجر المر، وهو من الأغلاث، واحدته حنظلة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة حنظل.

[3] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص١٧١.

[4] صاب: نزل. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة صوب.

[5] ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص٩٠٧.

وما سر عيدان الأراك[1] بريقها تناوحها في أيكها[2] تتهصر

لئن عدمت سقيا الثرى إن ريقها لأعذب من هاتيك سقيا وأخصر

في هذا النص يوظف الشاعر جمال صورة شجر الأراك بوصفه لجمال المحبوبة، ويسحبه خياله إلى أن حسنها ورائحتها بل حتى ريقها أعذب من المسواك المستخلص من شجر الأراك، والذي يمكن أن يسقي التراب في حالة انعدام السقيا، فريقها يكفي لسقاية الأرض برائحته العذبة وغزارة كرمه.

واستثمر ابن الرومي شجر البان في قصيدته التي قالها في الغزل:[3] (مخلع البسيط)

غصن من البان في وشاح ركب في مغرس رداح[4]

يهتز طوعا لغير ريح والغصن يهتز للرياح

غصن ولكنه فتاة بديعة الشكل في الملاح

زينت بوجه عليه فرع يحكى ظلاما على صباح

---

[1] الأراك: شجر معروف وهو شجر السواك يستاك بفروعه، تتخذ منه المساويك من الفروع والعروق، ابن منظور، لسان العرب، مادة أرك.

[2] الأيكة: جماعة الأراك، وممكن أن تكون الجماع من كل الشجر حتى من النخل، ابن منظور، لسان العرب، مادة أيك .

[3] ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص٥٢١.

[4] رداح: الثقيل الذي لا انبعاث له، أو الشجرة العظيمة الواسعة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ردح.

ينفسح الطرف حين تبدو غرته أيما انفساح

يا حسن خد لها رقيق يكاد يدمى بلا جراح

يصور الشاعر غصن البان المغروس بقوة في الأرض، الذي لا يهتز للريح إنما يهتز تطوعا ، بينما الغصن العادي يهتز للرياح ـ بالفتاة الجميلة المزينة التي تنير في الظلام الحالك؛ لدرجة أن محبها يطير بها اشتياقا وتلوعا يطير من دون أجنحة من كثر الشوق لها.

وله في الاعتذار لبعض إخوانه ويستغل المسك والبان في قوله:() (الطويل)

كريم أتاه أنني قلت منكرا فظن ولم يوقن، وما حك بالنفس

فعاقبني والحلم بيني وبينه عقابا بلا ضرب أليم ولا حبس

ولكن بشم المسك والبان ذوفا فلا يكن الحساد من ذاك في لبس

ولا يأملوا إظلام جانب مثله علي، فلا إظلام في جانب الشمس

ونجده يعتذر بأرقى أساليب الاعتذار، فيظهر كيف أن الممدوح كريم حتى بعقابه، فهو عندما يضربه، فهو يضربه بشم المسك والبان؛ لأنه خلوق راقي الخلق لا يؤذي الآخرين رغم محاولات الحساد الإيقاع بينهما وهدم جسور الحب التي اعتادها الشاعر من الممدوح.

() ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص١٢٣٢.

ج- الرياض:

وصف شعراء العصر العباسي الثاني الرياض، وصوروا جمالها وروعتها، أثرها الساحر على نفوسهم، حيث كان ابن الرومي من أكثر الشعراء عشقا للطبيعة.

وسميت الرياض "بهذا الاسم لأن الماء يستربض فيها، والرياض تشكل مساحات لا بأس بها من الجزيرة العربية وتكون دائما مطمئنة؛ فتنبت ضروبا من العشب والبقول، ولا يسرع إليها الذبول، وإذا أعشب الرياض وتتابع عليها الوسمي ربعت العرب بنعمها جمعاء، وكانت تسيل في بعض الجداول الصغيرة وتسمى الرياض حدائق إذا التف عشبها وتكاثف"().

تفنن الشعراء في وصف الطبيعة، والرياض، وكتبوا قصائد ومقطوعات جميلة، وكان منهم شاعرنا ابن الرومي، حيث كتب مقطوعة شعرية تحدث فيها عن جمال الروض وجمال الطبيعة، ووصفها وشبهها بالمرأة، وأبدع في تصويره، وكأن هذه الرياض كائن حي في تشخيصه للطبيعة، كما شبه الروضة بالفتاة الجميلة وشبه الطبيعة بالوشي، الذي طرزته السحائب الحائكات في الليل وفي النهار، وأحسنت حياكته وكأنه يخاطب الطبيعة، ويظهرها تشكر الله على نعمة إرساله المطر في الربيع، والمطر الرهو الهادئ الذي يوغل في أعماقها فيمنحها الخضرة والجمال.() يقول ابن الرومي:() (الخفيف)

ورياض تخايل الأرض فيها خيلاء الفتاة في الأبراد

() الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٨٣.

() روشنفكر، كبرى، الطبيعة الحية في شعر ابن الرومي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد ١٣، ٢٠٠٦م، ص٧٣.

() ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص٦٨٣.

ذات وشي تناسجته سوار لبقات بحوكه وغواد

شكرت نعمة الولي على الوسـ ـمي[1] ثم العهاد بعد العهاد[2]

فهي تثني على السماء ثناء طيب النشر شائعا في البلاد

من نسيم كأن مسراه في الأر واح مسرى الأرواح في الأجساد

منظر معجب تحية أنف ريحها ريح طيب الأولاد

مسمع مطرب إذا شئت مله لك عن كل طارف وتلاد

تتداعى بها حمائم شتى كالبواكي وكالقيان الشوادي

الملحوظ على شعر ابن الرومي أنه يحاول دائما أن يبرز صورة الطبيعة ويحاورها ويجعل منها كالأشخاص تتحدث وتشعر بالموجودات، لذا نرى أن هذه المقطوعة غنية بالدلالة على بيئتها وعصرها، والروضة مستلهمة من البيئة العباسية التي انتشرت فيها الرياض والحدائق والبرك وتحيط بها القصور الكبيرة، كما أنه قد غلبت عليها الصور المندرجة من بيئة تلك المدة، حيث عرفت الثياب بكثرة الزخارف والبهرجة، كما يبدو لنا أن الشاعر في هذا النص يخرج مكنوناته في هذه المقطوعة الجميلة المعنى والمترابطة في ألفاظها ومعانيها وتصويرها، حيث يرسم لوحة مستقلة للأرض، يرسمها وكأنها مختالة

---

[1] الوسمي: مطر أول الربيع. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة وسم.

[2] العهاد: ضعيف مطر الوسمي وركاكه. أو هو مواقع الوسمي من الأرض. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة عهد.

مزهوة مثل فتاة تزينت بأفضل لباسها، وتبدو أجمل وأجمل بغيوم الصباح والمساء وما تحمله من أمطار الولى والوسمي، والأرض بعطائها لا تستكثر أو تستحيي أو تتعالى، يظهرها الشاعر تشكر النعمة التي أغدقتها السماء عليها، ويلهج لسانها بمدح السماء مدحا عظيما توج هذا المدح بانتشار الروائح العطرة.

ويصف ابن الرومي روضة فيقول[1]: البسيط

حيتك عنا شمال طاف طائفها بجنه فجرت روحا وريحانا

هبت سحيرا فناجى الغصن موسوسا وتنادى الطير إعلانا صاحبه

ورق تغنى على خضر مهدلة تسمو بها وتشم الأرض أحيانا

تخال طائرها نشوان من طرب والغصن من هزة عطفيه نشوانا

يضفي ابن الرومي على الروضة أوصاف الإنسان، ويصور الروضة تحيي الإنسان وتناجيه، والنجوى وهي من سمات البشر، فالشاعرعبر عن ذاته من خلال الغصن، والمناجاة بغناء الطير، بحيث تبعث الحياة في الأغصان لتفيق وتستيقظ، ثم تمر على الأطيار لتوقظها هي الأخرى،وتعلن ميلاد نهار جديد، فإذا بها تغني على الأغصان الراقصة أغنية الحياة، لتنطلق في النهاية فرحة شاملة تعم أرجاء الروض كله.

د- الأزهار:

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٦، ص٢٤٦٠.

كثرت في العصر العباسي الحدائق المليئة بالأزهار وانتشارها مما جعلت، صور الشعراء موشحة بالأزهار.

- الورد:

وقال ابن الرومي يصف الورد[1]: الطويل

تورد خديه يذكرني الوردا ولم أر أحلى منه شكلا ولا قدا

كأن الثريا علقت في جبينه وبدر الدجى في النحر صيغ له عقدا

وأهدت له شمس النهار ضياءها فمر بثوب الحسن مرتديا فردا

يصور الشاعر حمرة الخدود بحمرة الورد ذات المبسم الرائع، والشكل البديع، فالورد يشع حمرة وسناء وبهاء، كما الشمس تشع ضيائها فيزداد ألقا وضياء وبهاء.

- النرجس:

تعتبر زهرة النرجس في مقدمة الزهور التي أفتن بوصفها ابن الرومي،وقال يصفه النرجس[2]: السريع

يا حبذا النرجس ريحانة ججلأنف مغبوق ومصبوح

كأنه من طيب أرواحه ركب من روح ومن روح

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص٤٠٨.

[2] المصدر السابق، ج٢، ص٥٥٩.

يا حسنه العين يا حسنه من لامح للشرب ملموح

كأنما الطل على نوره ماء عيون غير مسفوح

يصور الشاعر حسن النرجس، فهو من أطيب الريحان رائحة، وكأنما هو مركب من الروح الذي يبعث الحياة في آخرين، مما يجعل له حسنا وأثرا بديعيا في النفوس،ويصور المطر الخفيف ويصف نزول المطرعليه، بماء العيون ودمعها الذي يسيل على الخدين.

وقوله[1]: الكامل

خجلت خدود الورد من تفضيله خجلا توردها عليه شاهد

لم يخجل الورد المورد لونه إلا وناحله الفضيلة عاند

فصل[2] القضية أن هذا قائد زهر الرياض وأن هذا طارد

شتان بين اثنين هذا موعد بتسلب الدنيا وهذا واعد

وإذا احتفظت به فأمتع صاحب بحياته لو أن حيا خالد

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص٦٤٣.

[2] الفصل: واحد فصول السنة الشمسية، وهي الربيع، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة فصل.

للنرجس الفضل المبين وإن أبى آب وحاد عن الطريقة حائد

من فضله عند الحجاج بأنه زهر ونور وهو نبت واحد

عقد ابن الرومي مناظرة ومفاضلة بين الورد والنرجس، ويذكر مزايا النرجس ويعتبره قائدا لزهر الربيع، حيث شبه حمرة الخد بحمرة الورد.

ويصف النرجس بقوله[1]: الخفيف

وإذاما تحلت الأرض بالنر جس باهت به نجوم السماء

شبه الشاعر النرجس بفتاة حيث تفتخر الأرض كما تباهي بها السماء.

- البنفسج:

من طلائع الربيع وقد فتن بوصفه الشعراء، كما فتنوا بسائر الأزهار.

يصف ابن الرومي البنفسج قائلا[2]: البسيط

بنفسج جمعت أوراقه فحكى كحلا تشرب دمعا يوم تشتيت

واللازوردية[3] تزهو بزرقتها وسط الرياض على حمر اليواقيت

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص١٠٧.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص٣٩٤.

[3] اللازورد : من الأحجار الكريمة، لونه أزرق سماوي أو بنفسجي، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة اللازورد.

كأنها وضعاف القضب تحملها أوائل النار في أطراف كبريت

شبه الشاعر البنفسج بكحل العين وذلك لسواد أوراقه القاتمة اللون القريبة إلى السواد، وعندما يكون بعيون المحبين، مما يزيدها جمالا وألقا، ويشبه لونها بشعلة أعواد الكبريت عند اشتعاله وتكون مزرقة مما يزيدها توهجا وجمالا.

- النيلوفر:

نبت مائي له أصل كالجزر،وساق ملساء، تطول وتطول بحسب عمق الماء[1]:

ويصف ابن الرومي النيلوفرفيقول[2]: الكامل

يرتاح للنيلوفر القلب الذي لايستفيق من الغرام وجهده

والورد أصبح في الروائح عبده والنرجس النيلي خادم عبده

ياحسنه في بركة قد أصبحت محشوة مسكا يشاب بنده

وكأنه فيها قد لحظ الصبا ورمى المنام ببعده وبصده

مهجور حب ظل يرفع رأسه كالمستجير بربه من صده

وكأنه إذ غاب عند مسائه في الماء وانحجبت نضارة قده

---

[1] حسن، رشدي علي، شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني، ص ٦٧.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص٨٠٦.

صب يهدده الحبيب بهجره ظلما فعرق نفسه من وجده

شبه الشاعر النيلوفر بالعاشق المحب الذي يستجير ربه عن الهجر، والذي يختفي عند المساء حزنا،على فراق الحبيب كمن يغرق نفسه ألما وحزنا،ويبين الشاعر أن النيلوفر هو سلطان الزهور، وجميع الأزاهير في خدمته التي تتميز بجمال رائحتها،وبوجود النيلوفر ازدادت جمالا ورائحتا التي يشم عبيرها.

- البهار:

البهار هو الأقحوان الأصفر[1]، وقد شبهه ابن الرومي بالشمس في وصفه للروضة إذ يقول[2]: الرجز

بروضة عذراء غير عانسه[3]

جادت لها كل سماء راجسه[4]

كأنها معشوقة مؤانسه

فيها شموس للبهار وارسه

كأنها جماجم الشمامسه[5]

---

[1] حسن، رشدي علي، شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني، ص ٦٩.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص١١٧٦

[3] عنست البنت البكر عنست عنسا، وعنوسا، وعناسا : طال مكثها في بيت أهلها بعد إدراكها ولم تتزوج، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة عنست.

[4] رجس، صوت الرعد، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة رجس.

[5] الشمامسه رجال الدين النصارى، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة شمس.

بعين يقظى وبجيد ناعسه

لؤلؤة الطل عليها قارسه

شبه الشاعر زهرة البهار برؤوس الشمامسة لجماله وحسنه، كأنه رأس للشمس وهي متلألئة ومضاءة وهي صامدة عندما تعكس اشعتها الجميلة على الأزهار ذات الألوان المختلفة.

- الجلنار:

ويصف ابن الرومي الجلناربقوله[1]: الطويل

وفي الروض أمسى الجلنار كأنه مباخر تبر عودها طيب النشر

شبه الشاعر زهر الرمان بالتبر الذي يمتاز بالرائحة الجميلة، فجمع بين حاستي النظر والشم والتمازج بينهما.

ثانيا: الطبيعة الحيوانية في شعر ابن الرومي:

اهتم الشاعر العربي في كل العصور بالحيوان، وكانت العلاقة متينة بينهما؛ لأن للحيوان سمات وخصائص تجعله قريبا من الإنسان، "والشاعر في العصر العباسي كانت له علاقة وثيقة بالحيوان لدرجة أنهم يجعلون منه ركنا ركينا من خصائص التعبير الفني في شعرهم؛ بما يسهم في إيصال ما يريدون البوح به أو التنفيس عنه من مشاعر وأفكار"[2]، والشعراء كانوا يوظفون صورة الحيوان بأشكال مختلفة؛ "ذلك لأن الإنسان بطبعه يربط نفسه بالمخلوقات من حوله،

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص١١٥١.

[2] شكر، أحمد، صورة الحيوان في شعر العصر العباسي دراسة سيميائية، رسالة دكتوراة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان،٢٠١٢م، ص ٢٦.

والعربي في نشأته قد كون ثقافة حياتية مع من حوله من المخلوقات كالحصان والناقة"[1] وغيرها من الحيوانات. "سواء أكان توظيفهم إياه ذلك بشكل مباشر أم غير مباشر، وأن ما تحفل به دواوينهم من ذكر للحيوان ـ على اختلاف طبيعة ذلك الذكر ـ لينم عن خبرة واسعة بعالم الحيوان وأحواله وعاداته"[2].

أـ الحيوانات الأليفة:

ـ الخيل:

تعامل العرب منذ القدم مع الخيل فهي مركوبهم في السلم والحرب، وهي الرفيقة في السفر، لذلك تباروا في وصفها والفخر فيها في شعرهم، وبرز بعض شعرائهم كنعات الخيل مثل: امرؤ القيس، وأبو دؤاد، وطفيل الغنوي، والنابغة الجعدي، والحطيئة والفرزدق[3]. وابن الرومي واحد من هؤلاء الشعراء الذين جعلوا من الخيل مادة خصبة في شعره أفادته في توصيل صورة هو مبتغيها من غرض قصيدته، وخاصة في المديح، فالخيل من أكثر المؤثرات المعنوية ؛ لما يحمله هذا الحيوان من صفات يتباهى الإنسان بها إذا تشابه معه، كما جاء وهو يمدح أبا العباس بن الفرات:[4] بقوله[5]: (الطويل)

هو المرء يسعى، والمساعي ثقيلة ويسبق والأنفاس منبهرات

له ضحكات حين يسأل حاجة إذا كثرت من غيره الضجرات

---

[1] الهاشمي، حمد بن علي الحسيني، مخاطبة الطير في الشعر العربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠١٤، ص١٢.

[2] الهاشمي، حمد بن علي الحسيني، مخاطبة الطير في الشعر العربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠١٤، ص١٢.

[3] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر، ج٢، ط٤، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، ص٢٩٦.

[4] ابن الفرات: هو أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى، من أكتب أهل زمانه ومن أوفرهم أدبا، توفي سنة ٢٩١هـ، ينظر المزيد في الأصبهاني، أبو الفرج، الأغاني، ج١٥، ص١١٢.

[5] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص٣٨٩.

يقول ويولي منة بعد منة فيطنب والأقوال مختصرات

فلو أنزلت بعد النبيين سورة إذا أنزلت في مدحه سورات

جرى وجرت أقلامه خيل حلبة وأقلام قوم عنده حمرات

نصيحا إذا غش الولاة كفاتهم وفيا إذا ما خيفت الغدرات

المتأمل للنص السابق يلاحظ وبوضوح أن الشاعر يوظف سرعة الخيل وأي خيل؛ خيل السباق، ويربطها في موضوع مديحه، وقد جعل من هذه السرعة تتشابه بصفة الممدوح الأدبية والعلمية التي لا يتثاقل ولا يضجر من إعطائه لهذه النعم ، فهو يتسابق مع غيره بل يغلبهم بسرعته في مساعدة المحتاج بوجهه السمح المتفائل الذي لا يمل ولا يكل من مساعدة الآخرين بكل ما عنده، بقلمه الذي يغلب خيل السباق في حين أن غيره يغش في نصحه ويتلكأ في مساعدته من دون مقابل.. هذه عطايا الممدوح، استطاع شاعرنا أن يوظفها بشكل يليق بمكانته العلمية والثقافية.

ويصف ابن الرومي الخيل فيقول[٥]: الخيف

فوق شقر من الحرائر جرد لاحقات البطون بالآطال

مسرجات مجللات تجافي ف حديد مواضع الأجلال

ملبسات من التهاويل زيا يستفز القلوب قبل التبال

---

٥ ابن الرومي، الديوان، ج٥، ص٢٠٦١.

راعت الناس يوم ذلك حتى قال قوم أخيلهم أم سعالي؟( )

وصف ابن الرومي الخيل وصفا تقليديا، بذكر أسمائها وصفاتها والتي تمتاز بسرعتها، وهي مدججة بالسلاح والناظر إليها يحسبها جن، لتبث الرعب في قلوب الأعداء.

وقال ابن الرومي يرثي أبا الحسين يحيى بن عمر بن حسين بن زيد بن علي[1] بقوله[2]: (الطويل)

ألا أيها المستبشرون بيومه أظلت عليكم غمة لا تفرج

أكلكم أمسى اطمأن مهاده بأن رسول اللـه في القبر مزعج

فلا تشمتوا وليخسإ المرء منكم بوجه كأن اللون منه اليرندج[3]

فلو شهد الهيجا بقلب أبيكم غداة التقى الجمعان، والخيل تمعج[4]

لأعطى يد العاني أو ارمد هاربا كما ارمد بالقاع الظليم المهيج

---

[1] هو يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين، ثائر خرج أيام المتوكل العباسي سنة ٢٣٥هـ فحبسه ثم أطلقه ثم خرج أيام المستعين، قتل أثر سقوطه على فرسه سنة ٢٥٠هـ، ويقال إنه استولى على الكوفة ثم تغلب عليه محمد بن عبد الله بن طاهر وقتله. ينظر: ابن الرومي، الديوان، ت: عمر فروخ، ص٤٥٨.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص٤٩٦.

[3] اليرندج: هو الصبغ الأسود. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ردج.

[4] تمعج: تقلب يمينا وشمالا. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة معج.

وفي هذا النص نراه يصور الحدث الرئيس المتمثل في فقدانهم يحيى بن عمر، ويصور الكوراث التي ستقع عليهم من جراء هذا الفقدان؛ فالغمامة بلونها الأسود ستبقى مظلة على رؤوسهم، و يحذرهم بأن لا يستهينوا ويتشمتوا فلون الوجوه ستسود، وساحات الوغى ستشهد الفواجع وستكون الخيول تتمايل من شدة هول المعركة وقوتها، لدرجة أنها تتقلب يمينا وشمالا، بل حتى إن الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم غضبان منزعج من جراء هذه الخسارة المتمثلة بفقدان ابن عمر.

- الجمل:

نسج ابن الرومي قصائده على منوال الأقدمين، فها هو يصف ناقته التي أقلته إلى الطائي، قائلا[٥]: البسيط

إليك رادفت عزمي فوق ناجية كالريح تعصف بالركبان إعصافا

أرسى عليك قتود الرحل أن خلقت أخف ما دب فوق الأرض إخفافا

تقلب الليل عينا غير نائمة ومنسما بحصى المعزاء خذافا

سفينة من سفين البر محكمة تجري إذا ما اتخذت السوط مجدافا

وصف الشاعر ناقته وصفا تقليديا بين أوصاف الناقة، شبه الشاعر ناقته بالريح الهوجاء في سرعتها ونشاطها كما شبه ناقته بالسفينة تجري كلما وخزها بالسوط بالمجداف، وما يصادف ناقته من مخاطر.

---

٥ ابن الرومي، الديوان، ج٤، ص١٦١٠.

- الكلاب:

لم تنل الكلاب مكانا مرموقا في شعرابن الرومي، حيث اقترنت عنده بالهجاء، وغالبا ما ينعته بالخسة والهوان،ويهجو خالد القرطبي إذ يقول[1]: الكامل

لله كلب مر بي فخسأته والكلب معترف بكل هوان

فأجابني مستنكفا أتقول لي اخسأ وأنت وخالد أخوان

يكفيك أنك صنوه من آدم وشريكه في صورة الإنسان

- القرود:

وهو من الحيوانات يهجى بها بسبب منظره البشع يهجو ابن الرومي أبا حفصل إذ يقول[2]: السريع

أصبحت قردا يا أبا حفصل ولست أيضا من ملاح القرود

تلك قرود غير ممسوخة وأنت قرد من مسوخ اليهود

لقد أبدع ابن الرومي باستخدام عنصر السخرية والتهكم، فهو مصور بارع عندما يجعل المهجو أضحوكة للجميع ويتمثل ذلك بهجائه من أبي حفصل، ويصفه بأنه قرد سئ، وينعته بأنه من سلالة القرود اليهودية؟.

وقوله[3]: الرمل

وطويل القرن إلا أنه لاحق بالأرض كالقرد الجزع

طال قرناه معا فارتفعا وأبت قامته أن ترتفع

---

[1] المصدر السابق، ج٦، ص٢٥٨٦.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص٧٤٧.

[3] المصدر السابق، ج٤، ص١٥٤٣.

فهو إن فكرت في رجل شب قرناه ولكن ما زرع

سوف تدري من تمرست به يا أبا حفص أخا الرأس القرع

فقد صور ابن الرومي مهجوه بأبشع الصور لتحقيره والإزراء به، فذكر أنه ثور له قرنان وشبهه بالثور الأقرع والقرد الخائف.

- الفيل:

يصف ابن الرومي الفيل بقوله[1]: الطويل

ولا أعصل النابين حامل مخطم به حجن طورا وطورا به فقم

يقلب جثمانا عظيما موثقا يهد بركنيه الجبال إذا مازحم

ويسطو بخرطوم يثنيه طوعه ومتشبهات ما أصاب بها غنم

يصف الشاعر الفيل بذكر أوصافة الجسمية، بالخرطوم الطويل ومطاوعة خرطومه كيفما شاء وهو مصدر رزقه، وقوته، والأنياب العاجية الكبيرة التي تنمو بجانب الفم.

واستغل ابن الرومي الفيل في هجائه بقوله:[2] (البسيط)

قالوا: ابن يوسف مستوه، فقلت قلتم بظن، وبعض الظن مكذوب لهم:

---

[1] المصدر السابق، ج٦، ص٢٣٠٥.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص٢٨٩.

قالوا: ألست تراه يا أبا حسن فخما له قصب ريان خرعوب[1]؟

في جثة الفيل مكنيا بكنيته ولا محالة أن الفيل مركوب

لا سيما وله وجه به قحة وعارض كجبين الطير مهلوب[2]

في هذا النص يستغل أضخم الحيوانات وأكبرها حجما (الفيل) بخرطومه الطويل، لكنه يجعل من صورة المهجو مغلوبا على أمره ليس بيده حل لأي أمر، هو ضعيف الشخصية يصعد عليه من يريد الصعود كما يصعد الرجل على ظهر الفيل، وجعل التشابه بين الاثنين -المهجو والفيل- بعدة أمور منها الحجم وطلوع الآخرين على ظهورهم.

واستدعى الفيل في هجائه لخالد القحطبي[3] بقوله:[4] (الطويل)

بروك لحاجات الغواة ملظة[5] ولو لبثت حولا تساط وتنحس

كفيل أبي يكسوم[6] عند بروكه غداة نهاه عن نواه المغمس

---

(1) رجل خرعب: طويل، في كثرة من لحمه. وجمل خرعوب: طويل في حسن خلق. وقيل: الخرعوب من الإبل العظيمة الطويلة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة خرعب.

(2) الهلب: الشعر تنتفه من الذنب، واحدته هلبة. والهلب: الأذناب والأعراف المنتوفة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة هلب.

(3) خالد القحطبي، هو أبو غانم شاعر هجاه ابن الرومي هجاء مؤلما شديد الإقذاع. ينظر: ديوان ابن الرومي، ت: عمر الطباع، ج١، ص١١٨.

(4) ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص١٢٣٣.

(5) لظ بالمكان وألظ به وألظ عليه: أقام به وألح. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة لظظ.

(6) أبو يكسوم: هو ابرهة الحبشي، ينظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، البداية والنهاية، ج٢، ص٢٢١.

تقارف منهن الليالي مخازيا تكاد لها قمراؤهن تحندس[1]

ونراه مرة أخرى يوظف الفيل في هجائه للقحطبي، الشاعر الذي لا ينفك عن طلب الحاجة والتذلل والسؤال، يجعله يتشابه في حجمه وبشاعته بفيل أبي يكسوم أبرهة الحبشي الشخصية التي عرفها التاريخ ببشاعته وظلمه وقتله للناس.

ب- الحيوانات الغير أليفة:

- الأسد:

يذكر الشاعر من أسماء الأسد التي عرفت عند العرب فيقول:[2] (الطويل)

فما أسد جهم المحيا شتيمه قصا قصة[3] ورد السبال[4] غضنفر[5]

---

(1) الحندس: الظلمة، وليلة حندسة، وليل حندس: مظلم. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة حندس.

(2) ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص١٠٤٤.

(3) القصقص والقصقصة، بالضم، والقصاقص من الرجال: الغليظ الشديد مع قصر. وأسد قصقص وقصقصة وقصاقص: عظيم الخلق شديد، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة قصص.

(4) السبال: الصهب والأنف الحمر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سبل.

(5) الغضنفر: غليظ الخلق متعضنه. الليث الغضنفر الأسد، ويقال رجل غضنفر إذا كان غليظا أو غليظ الجثة، وقال الأزهري: أصله الغضفر، والنون زائدة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة غضفر.

مسمى بأسماء فمنهن ضيغم[1] ومنهن ضرغام[2] ومنهن قسور[3]

الشاعر في هذه القصيدة يستغل العديد من الأسماء التي يسمى بها الأسد ويربطها بقوة وشجاعة الأسد فالغضنفر والضيغم والضرغام والقسور، كلها أسماء كانت العـرب تسمي بها الأسد وفي نفس الوقت كانوا يسمون بها أولادهم تمنيا أن يكونوا بشجاعة الأسد وقوته.

وكذلك يستدعي الأسد في قوله:[4] (المنسرح)

تاللـه تدري الأكف تشكر أصفادهن[5] أم صفدك إطلاقك

ما نسأل الله أن تنال من إلا عديد من حمدك الخيرات

ينصـرف الوفد يحمدون معا يومك فيهم ويأملون غدك

إن الذئاب التي تغير على تناهت من خوفها أسدك الناس

---

[1] الضيغم: الذي يعض، والياء زائدة. والضيغم والضيغمي: الأسد مشتق من ذلك، ينظر : ابن منظور، لسان العرب، مادة ضغم.

[2] ضرغام: الضرغم والضرغام والضرغامة: الأسد، ورجل ضرغامة: شجاع، فإما أن يكون شبه بالأسد، وإما أن يكون ذلك أصلا فيه.ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ضرغم.

[3] قسور: القسورة لها معان كثيرة، منها: الأسد والشجاع وأول الليل وضرب من الشجر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة قسر.

[4] ابن الرومي، الديوان، ج٥، ص١٨١٥.

[5] الأصفاد، هي الأغلال أو القيود. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة صفد.

يستثمر الشاعرفي هذا النص الذئاب في وصف شجاعة الممدوح، ويربط الشجاعة بالكرم والعطاء الذي اعتادت الرعية عليه لدرجة أن الأكف تشكره ؛ لأنه يطلقها من قيدها ولا يجعلها مكبلة، فهي مستمرة بالبذخ من خيرات الله، كما أن صورة الوفود التي تغادر مجلسه تظهر فرحة مسرورة حامدة شاكرة لله الذي ولاه عليهم ،فالممدوح يحبه الجميع ويهابونه فهو كالأسد ، ويتمنون رضاه.

ويستخدم صفتي الأسد والثعلب وهو يهجو سليمان بن عبد الله،[1] بقوله:[2] (المتقارب)

سليمان مفسدة المملكه فأهلكه الله واستدركه

رعى طبرستان رعى المضيـ ـع وهي إلى الحشـر مستهلكه

وما كان برا على ضعفه ولا فاجرا قبل، ما أفتكه!

هو الأسد الورد في قصـره لكنه ثعلب المعركه

وأحسب فرعون في كفره وهامان ما سلكا مسلكه

توقع لبغداد إذ ساسها زفافا فقد أصبحت مملكه

جعل الشاعر من المهجو في هذا النص شخصية مزدوجة تتغير حسب الظروف التي يكون فيها، فهو شجاع كالأسد في قصره مع رعيته الذين لا يستطيعون انتقاده ورده عن تصرفاته الظالمة الجائرة، كفرعون الجبار الظالم المستبد الذي لا يخاف الله في رعيته وبلاده ، وشخصيته الثانية: جبان كالثعلب الماكر، جبان

---

[1] سليمان بن عبد الله: هو أمير عباسي ولاه المأمون المدينة سنة ٢١٣هـ ثم مكة واستقر بعد ذلك في مكة إلى خلافة المعتصم فعزله، توفي سنة ٢٣٤هـ. ينظر: ابن الرومي، الديوان، ت: عمر فروخ، ج١، ص٣١٣.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٥، ص١٨٢١.

متخاذل في حلبة المعركة وساحات القتال، وليس بين الأسد والثعلب تشابه في صفاتهما.

- الثعلب:

يوصف الثعلب بالروغان والمكر، ويضرب به المثل في الجبن، يقول ابن الرومي[1]: الطويل

وما كنت ثعلبا بتنوفة[2] اتيحت له صقعاء[3] في الجو تلمح

تصف له طورا وتقبض تارة إذا ما أفاءت فوقه ظل يضبح

يهجو الشاعر ابن حريث فيشبهه بالثعلب الجبان وهو يجري في فلاة ممتدة لا حدود لها، وقد لمح بالسماء طائرا كبيرا يلاحقه يضم جناحيه الكبيرين ويفردهما للحاق به، فإن أفردهما خاف الثعلب من الظل المتشكل منهما فيقعي خائفا وصوت أنفاسه يعلو خوفا.

- الفهود:

يقول ابن الرومي في وصف الفهود[4]: الرجز

كأنها والخزر من أحداقها

والخطط السود على أشداقها

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص٥٢٣.

[2] التنوفة: القفر من الأرض،، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة تنف.

[3] صقعه: طائر في رأسه بياض، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة صقعه.

[4] ابن الرومي، الديوان، ج٤، ص١٧١١.

ترك جرى الإثمد من آماقها

تبدو تلك الفهود حين تنظر بطرف عيونها الضيقة وقد أحاطت بها خيوط جسمها السوداء، كأنها إمرأة مصون محفوظة في خدرها، وقد اكتحلت واختلط كحلها بدموعها فجرى راسما خطا ممتدا من طرفها.

وقوله[1]: الوافر

وأما نومكم عن كل خير كنوم الفهد لا يخشى دفاعا

يهجو الشاعر قوما فيقول إنهم أبعد ما يكونون عن فعل الخير، فهم كالفهد إذا ما نام ثقل نومه فلا يسهل أبدا إيقاظه، وهو نوم مطمئن بأنه لا خطر يحدق به ويحتاج أن يبقى متوجسا للدفاع عن نفسه.

وقد قال الجاحظ الفهد أنوم الخلق وليس نومه كنوم الكلب لأن الكلب نومه نعاس واختلاس والفهد نومه صمت.

- الذئاب:

وصف ابن الرومي الذئاب في مواطن الهجاء وهو يخاطب القاسم بقوله[2]:الخفيف

خلفوني خلافة الذئب في الش شاء وكانوا في جهل حقي شاء

شبه خصومه بالذئاب لما فيهم من صفات الخبث والمكر والغدر.

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٤، ص١٥٥٣.

[2] المصدر السابق، ج١، ص٨٧.

وقوله في إسماعيل بن بلبل وصاعد[1]: الوافر

رعى هذا الأنام[2] فكان ذئبا أحص[3] وما الذئاب وما الرعاء؟

جعل ابن الرومي من صاعد بن مخلد ذئبا لا يؤمن على رعيته، وهذا نذير شؤم لإنهيار المجتمع العباسي بسبب الفساد والترهل في المجتمع العباسي.

أ- الطيور الأليفة:

- العصافير:

لا يخفى على دارسي الأدب والشعر العربي، أن الشعراء العرب اهتموا بالطيور ووظفوها في شعرهم، كونها عنصرا أساسيا من عناصر الطبيعة الجميلة، وكغيرها من الحيوانات الأخرى التي أخذت مساحة واسعة في الأدب العربي. "حيث تتمثل الصور التي رسمها شعراء العرب للطيور في كثير من جوانب الأدب العربي؛ لأن بعضها ألهم الشعراء مشاعر القوة والسيطرة، وأثار بعضها الآخر فيهم الحنين والعطف، وحرك بعضها الآخر هواجس التشاؤم والقلق فعبروا عن هذه المعاني بما وجدوه في بيئتهم"[4]، والطيور في الشعر العباسي تحتل مكانة مهمة في نتاجهم، وباعتبارها ملهمة الشعراء ومنهم ابن الرومي، فقد ظهرت صور للطيور كثيرة في ديوانه ، وحاول من خلالها التعبير عن مكنوناته الداخلية ومشاعره التي ارتسمت مع ألوان أجنحة الطيور

---

[1] المصدر السابق، ج١، ص٥٧.

[2] الأنام : جميع ما على الأرض من الخلق وقد يشمل الجن، وغلبت في الدلالة على البشر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة أنام.

[3] أحص :المشؤوم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة الحص.

[4] ينظر، القيسي، حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، الشركة المتحدة للتوزيع، ط١، بيروت لبنان ١٩٧٠م، ص١٧٦.

البراقة وأصواتها العذبة وحركاتها الرقيقة، لذا نجده يتخذ من العصفور عنصرا مساعدا في هجائه، فقد قال يهجو سوار بن أبي شرعة[1] بقوله:[2](الوافر)

أرى العصفور يعبث بالفخاخ[3] وما لخناقه فيها مراخي[4]

وقال الشعر يغرب فيه حتى لخيل من اليمامة أو أضاخ[5]

ولم تجن المسامع منه معنى وهل تجنى الثمار من السباخ[6]

اتخذ الشاعر من العصفور عنصرا مساعدا في هجائه، حيث إن المهجو له سلوك سلبي تتشابه بالعصافير العابثة بالفخاخ التي تعد لها، أي إنه أظهر المهجو شخصا عديم الفائدة لا يمكن الاستفادة منه عديم المسؤولية لدرجة أنه يتشابه بالأرض المالحة التي لا يمكن أن يزرع فيها.

ويقول ابن الرومي:[7] (المنسرح)

أرى رجالا قد خولوا نعما في خفة الحلم كالعصافير

---

[1] هو أبو الفياض، واسم أبي شراعة أحمد بن محمد بن عمير القيسي البصري، قدم بغداد، وحدث بها عن العباس بن الفرج الرياشي، وعمرو بن بحر الجاحظ.... ينظر: البغدادي، الخطيب، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت، تاريخ بغداد، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠١م ج١٠، ص٢٩٣.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص٥٧٨.

[3] الفخاخ: أدوات لصيد العصافير، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة دحس.

[4] مراخي، أرخى الرباط . ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة رخا.

[5] أضاخ: اسم جبل ذكره امرؤ القيس في شعر له يصف برقا شامه من بعيد. ينطر: ابن منظور، لسان العرب، مادة وضخ.

[6] السباخ: هي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة شول.

[7] ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص١١٤٧.

تبارك الله كيف يرزقهم! لكنه رازق الخنازير

يتخذ ابن الرومي من حجم العصفور في البيتين السابقين متكأ لوصف حجم عقل شخص ما لم يظهر لنا من هو، ويبدو أن الشاعر مستاء منه كثيرا لدرجة تصغير حجمه بحجم العصفور، وفي نفس الوقت نراه يتحير من الحكمة الإلهية في رزق المخلوقات، حيث إن الله تعالى شأنه يرزق كل مخلوق سواء أكان إنسانا أم حيوانا (خنزيرا).

ووظف الشاعر صورة أخرى للعصفور، وهو يمدح علي بن يحيى النديم[1]، ويعاتبه في نفس الوقت، كما ظهر ذلك بقوله:[2] (الخفيف)

قل ما توجد الفضائل إلا في خفاف الرجال دون الثقال

ينظم الدر في السلوك وتأبى عزة الدر نظمه في الحبال

كم غليظ من الرجال ثقيل ناقص الوزن شائل المثقال

من أناس أوتوا حلوم العصافيـ ـر فلم تغنهم جسوم البغال

إن الشاعر يتمثل حجم العصافير ليظهر صورة تعكس واقع الشخص الذي يريد وصفه، فقد حاول تصوير أن صفات الرجل العظيمة ليس بحجمه الكبير .. إنما هي في سلوكه وخلقه الرفيع، فهناك الكثير حجمهم صغير وعقولهم كبيرة، وعلى العكس من ذلك هناك أناس حجمهم بكبر البغال وعقولهم صغيرة بصغر عقل العصفور.

---

[1] علي ين يحيى بن أبي منصور: نديم المتوكل العباسي. خص به وبمن بعده من الخلفاء إلى أيام المعتمد، يفضون إليه بأسرارهم ويأمنونه على أخبارهم. ينظر المزيد في الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٣١، مصدر سابق.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٥، ص٢٠٥٧.

- الطاووس:

يستغل الشاعر طيرا آخر عرف بجمال ألوانه الزاهية التي تظهر في كل ريشة من ريشه وكأنها لوحة فنية متكاملة البناء والتصوير، وهو طائر الطاووس، محاولا من تمثيل صورة جمال الممدوح وزينته وبهائه، وذلك في تهنئته للقاسم بن عبيد الله[1] عندما رزقه الله بمولود فقال:[2] (الخفيف)

لا ترى القاسم المؤمل إلا باكر الرفد شاكر المرفود

منشد المدح تحت أفياء عرف ناشد طالبيه لا منشود

مستمدا من فعله كل قول قيل فيه فما له من نفود

ومن السيف ماؤه، ومن الطا ووس ذي الوشي وشي تلك البرود

سيد بره كمحتوم أمر الـ ـله يأتيك غير ما مردود

يستثمر الشاعر جمال الطاووس بألوانه الزاهية البراقة في رسم لوحة تعبر عن صفات الممدوح وحاله، من حيث تشابه مطرزات ألوان ثوبه بألوان ريش الطاووس الجميلة، كما تظهر صفات الممدوح من حيث نعمه وكرمه على الوافدين عليه والمداحين له؛ لأنه يستحق قول الأماديح فيه؛ فهو الفاعل عند القول والمعطي بلا حساب، فيستحق المدح لأفعاله الكريمة الراقية.

---

[1] القاسم بن عبيد الله: هو ابن سليمان بن وهب بن سعيد الحارثي الوزير، ولي الوزارة للمعتضد بعد موت والده الوزير الكبير عبيد الله، في سنة ثمان وثمانين، وظهرت شهامته وزاد تمكنه، فلما مات المعتضد في سنة تسع وثمانين ومائتين قام القاسم بأعباء الخلافة، وعقد البيعة للمكتفي، وكان سفاكا للدماء . ينظر: المزيد في، الذهبي، سير أعلام النبلاء، الجزء ١٤، ص ١٨.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص٦٢١.

- الحمام:

استثمر ابن الرومي طائر الحمام في إظهار شوقه وحنينه لسر من رأى[1] بقوله:[2] (المتقارب)

سقيتن يا منزلات الهوى بوادي الشريحة صوب الحيا

ولا زال مسرح غزلانكن مربع المحلة والمنتأى

وجاورت الروض حيث الحسا ن تغض النهى[3] من عيون المها[4]

مواقف حور بنات الخدور يبكين أعين من قد هوى

بكاء الحمائم في أيكة تجاوبن وقت ابتسام الضحى

إذا ما غدون لطاف الخصور خفاف الصدور، ثقال الخطى

رقاق الثنايا[5]، عذاب الغروب صغار القلوب، ضعاف القوى

ابتعد الشاعر عن مدينة (سر من رأى) الجميلة التي تقع شمال بغداد، والمشهورة بآثارها العريقة مثل المئذنة الملوية للمسجد الجامع الذي بناه

---

[1] سر من رأى: مدينة أثرية تقع في العراق والآن تسمى سامراء.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص١٢٤.

[3] النهى: العقول والألباب. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة نهي.

[4] المها:جمع المهاة: بقرة الوحش، سميت بذلك لبياضها على التشبيه بالبلورة والدرة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة مها.

[5] الثنايا: من السن، المحكم: الثنية من الأضراس أول ما في الفم. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ثني.

المتوكل، وبهوائها العذب وبنهر دجلة الذي يمر فيها بمياهه العذبة وخيراته الكثيرة؛ حيث كان يقيم في مدينة واسط التي تقع في جنوب العراق، ويبدو أن حنينه لهذه المدينة جعله يتذكر طائر الحمام الذي عرف عنه أنه طائر الحنين والشوق والنوح والبكاء، فقد استخدم الشاعر هديل الحمامة لتصوير حزنه على المكان الذي يفتقده والذي غادره عن غير رغبة.

ويقول في نوح الحمام:[1] (الطويل)

طربت ولم تطرب على حين مطرب وكيف التصابي بابن ستين أشيب؟

ومما حداك الشوق نوح حمامة أرنت على خوط من البان أهدب

مطوقة تبكي ولم أر قبلها بدا ما بدا من شجوها[2] لم تسلب

من الملاحظ أن الشعراء يتصورون أن هديل الحمامة هو بكاؤها ، ولم يفسروا بأنه صوت حنين شجي خلقه الله تعالى لها ؛ لتتميز به عن بقية الحيوانات، والشاعر ابن الرومي في هذا النص اتخذ من بكاء الحمامة صورة ينفس بها عن حاله المتألمة الموجوعة، وعن نفسه التي تحن للشباب وأيام الصبا، فقد بلغ ما بلغ به العمر وغادرته أيام الشباب، وكان المؤنس الوحيد له الذي يصور حالته هو نوح الحمامة التي تعبر عما يدور بداخله وتصور حالته.

وقال أيضا وهو يستثمر الحمام في ندبه على الشباب الذي انقضى:[3] (الوافر)

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص١٧٤.

[2] الشجو: هو الهم والحزن، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة شجا.

[3] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص٢٥٨.

يذكرني الشباب وميض برق وسجع حمامة، وحنين ناب[1]

فيا أسفا، ويا جزعا عليه ويا حزنا إلى يوم الحساب!

أأفجع بالشباب ولا أعزى؟ لقد غفل المعزى عن مصابي

فالحمامة بسجعها وهديلها تذكره بشبابه الذي انقضى وتركه للشيخوخة المؤلمة المتعبة، فنجده يتأسف ويتألم ويحزن حزنا طويلا وعناء يمتد إلى يوم القيامة؛ لأن الشباب حين يغادرنا نتألم عليه.

إن الحمامة في هذا النص أججت أحزانه وذكرته بالأيام التي غادرته ، وعد فقد الشباب مصيبة .

- الديك:

يوظف الشاعر طائرا آخر هو الديك المعروف بجمال صوته الذي يكون كالإعلان عندما يصيح معلنا بداية يوم جديد، وكذلك يكون كالإعلان بصياحه في آخر النهار معلنا نهاية يوم مضى، فصوت صياح الديك لا يستغني عنه الإنسان خاصة في ذلك الزمان هو كالمنبه في يومنا هذا.

وقال ابن الرومي قصيدة في شهر رمضان المبارك[2]: (البسيط)

شهر القيام وإن حرمته شهر طويل ثقيل الظل والحركه

---

[1] الناب: الناقة المسنة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة نيب.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٥، ص١٨٣٧.

يمشي الهوينا، وأما حين يطلبنا فلا السليك يدانيه ولا السلكه[1]

كأنه طالب ثأرا على فرس أجد في إثر مطلوب على رمكه

أذمه غير وقت فيه أحمده منذ العشاء إلى أن تسقع الديكه

يبدع الشاعر في وصف طول أيام الصيام في رمضان، وينقل لنا إحساس المتثاقلين منه، فيصف أيام رمضان بثقل الظل والحركة، وأنها تسير بتؤدة وتأن شديد، ولكن إن غادرنا شهر الصيام فما أسرع أن يعود! فهو يجري نحونا جريا لا يدانيه أشهر عدائي العرب، كأن بيننا وبينه ثأرا فهو طالبه، ونحن لا نستطيع أن نهرب منه بسيرنا البطيء، ثم يقول الشاعر إنه يذم رمضان في كل أوقاته ما عدا الوقت الذي يجوز فيه الأكل.

وهنا يوظف الشاعر الديك متشائما من صوته الذي يعلن بدء الامتناع عن الطعام، ((فالديك هنا داعية شؤم في حس الشاعر)).

وللشاعر ابن الرومي أبيات فيها مرح وسخرية ؛ فهو قد عرف بمثل هذا النوع من الشعر كثيرا، فقد قال في طباهجة اللحم المشرح وهو يتلذذ به[2]: (الوافر)

طباهجة[3] كأعراف الديوك تروق العين، من شرط الملوك

---

[1] السلكة: هي أم سليك بن عمرو، وهو أحد الصعاليك، كان له بأس ونجدة، وكان أدل الناس بالأرض، وأجودهم عدوا على رجليه، وكان لاتعلق به الخيل. ينظر: الضبي، المفضل بن محمد (ت ١٦٨ هـ)، أمثال العرب، تحقيق إحسان عباس، ط١، بيروت: دار الرائد العربي ١٩٨١م ، ص٢٩-٣٠.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٥، ص١٨٩٠.

[3] طباهجة، هو اللحم المشرح معرب تباهه، ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٦، دمشق ١٩٨٨م.

هلم إلى مساعدتي عليها فلست لمثل ذلك بالتروك

يشبه الشاعر هذا النوع من اللحم بعرف الديك؛ لأن تقطيعه يكون بشكل شرائح خفيفة طرية، يستحسنها الملوك وأعالي القوم، وهي لا تقدم إلا لهم دائما ،وشاعرنا في هذين البيتين يخاطب شخصا ما ويدعوه لتناول هذه اللحمة معه، وفي هذا يظهر أن الشاعر مبهور بهذه الأكلة جدا، ويبدو أنه يتمنى لمن حوله تناولها للذة مذاقها الشديد، أي أنه يتمنى للآخرين أن يستمتعوا بطعمها معه.

على ما يبدو أن شاعرنا كان معجبا كثيرا بطائر الديك، لذا نرى أن الكثير من قصائده يذكر فيها هذا الطائر بصفاته ولونه ومذاقه؛ فقد قال ابن الرومي قصيدة على أثر قول أبي نواس: إذا اجتمع في الشيخ أن يكون خضيبا، مؤذنا بالأسحار، كثير المواثبة لجيرانه، سفادا لبني محلته، فذاك ديك الله حقا.[1] فقال ابن الرومي: [2] (البسيط)

عنفت شيخي أذان في مواثبة تواثباها وقد يعوج معتدل

فقلت للأكبر الألحى: هبا لكما وهذا الأذان وهذا المذهب الخطل

فقال: نحن ديوك الله عادتنا أنا نؤذن أحيانا ونقتتل

لاسيما عند خضب[3] الشيخ ورأسه، واختضاب الشيخ منتصل لحيته

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٥، ص٢٠٠٩.

[2] المصدر السابق نفسه.

[3] الخضب: كل لون غير لونه حمرة، فهو مخضوب، ينظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة خضب.

نحن الديوك بحق يوم ذلكم إذا بدت حمرة الحناء تشتعل

وفي هذا النص أيضا نرى شاعرنا يجعل من صفة الديوك المعروفة عنها بأنها تصيح وقت صلاة الفجر، متشابهة مع المؤذنين في ذات الوقت.

- البط والدجاج:

أما طائر البط، فقد كان له نصيب في شعر ابن الرومي، كقوله:[1](الرجز)

ألذ من فائقة الإبهط[2]

ومن شوا سمط نظيف السمط[3]

ولحم طير وصدور البط

خرطوم سلسال من الإسفنط[4]

في قرية من قريات القبط

بسر من را ، في نسيم الشط

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٤، ص١٤٥٠.

[2] البهط: كلمة سندية وهي الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة بلا ماء، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة بهط.

[3] السمط: سمط الجدي والحمل يسمطه ويسمطه سمطا فهو مسموط وسميط ، نتف عنه الصوف ونظفه من الشعر بالماء الحار ليشويه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سمط.

[4] الإسفنط والإسفنط، المطيب من عصير العنب ، وقيل: هو من أسماء الخمر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة أسفط.

قبطية في حلل ومرط

من الملاحظ أن الشاعر يحب مذاق طائر البط؛ إلا أنه يفضل المطيب من عصير العنب (الخمر) على البط المشوي وغيره من الأطعمة اللذيذة ، والأمكنة الجميلة ،وآثار البلدان العريقة التي يستمتع بها الناس ويتمنون الجلوس فيه وتناول الطعام ، وكذلك الشخصيات المعروفة بوسامتها وجمالها مثل القبطية التي تتحلى بأحلى الحلي من القرط ، حيث إن مذاقه اللذيذ جعله يتخيل كل هذه الصور وكل هذه الأحاسيس، وكأن الشاعر يخلق من الطبيعة حسا يجعله يتخيل المذاق واللون.

ولابن الرومي شعر كثير في المجون، ففي الحقيقة هذا ديدنه كما عهدناه، فقد قال موظفا طائر البط في تصويره، وهو يصور خضوعها وخوفها من طائر الصقر:() (الرجز)

في غادة وافرة المنين

تواضعت لا للتقى والدين

تحت فتى من قلبها مكين

تواضع البطة للشاهين

يصور الشاعر خضوع فتاة جميلة لفتى تمكن من قلبها بخضوع البط لطائر الشاهين الذي عرف عنه السرعة والقوة والصيد المفاجئ للفريسة.

() ابن الرومي، الديوان، ج٦، ص٢٥٥٩.

كما نجده يخلط في أبياته بين طائرين هما الدجاج والأوز في قصيدة طريفة يصف فيها دجاجة، فيقول:[1](الكامل)

وسميطة صفراء دينارية ثمنا ولونا زفها لك حزور

عظمت فكادت أن تكون إوزة ونوت فكاد إهابها[2] يتفطر

طفقت تجود بذوبها جوذابة[3] قانى لباب اللوز فيها السكر

يصف الشاعر في هذه الأبيات شكل الدجاجة ولونها ومقدار ثمنها وحجمها عندما تكبر عن الحجم المألوف عن شكل الدجاجة المعروفة بها، فتصير كأنها إوزة، وفضلا عن ذلك فنجده يصور طريقة تنظيفها من الريش وطهيها وحشيها بالرز واللوز.

ب- الطيور الغير أليفة:

- العقاب:

طائر العقاب هو: من كواسر الطير، قوي المخالب، حاد البصر.

وقال ابن الرومي يرثي أمه[4]: الطويل

ولا لقوة[5] شعواء تلحم فرخها خدارية[6] شماء في شاهق أشم

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص٩٥٤.

[2] الإهاب، الجلد قبل أن يدبغ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة أهب.

[3] الجوذاب، وهو الطعام الذي يشرح، في ترجمة جذب، حكى يعقوب أن رجلا دخل على يزيد بن مزيد فأكل عنده طعاما، فخرج وهو يقول: ما أطيب ذوباج الأرز بحآجئ الإوز يريد ما أطيب جوذاب الأرز بصدور البط. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ذبج.

[4] ابن الرومي، الديوان، ج٦، ص٢٣٠٦.

[5] لقوة: أنثى العقاب، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة لقوة.

[6] خدارية، العقاب، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة الخدر.

بكور على الأقناص غير مخلة كأن بها في كل شارقة وجم

تبيت إذا ما أحجر القر غيرها ترقرق رفض الطل[1] في ريشها الأحم

يقول ابن الرومي في رثاء أمه كيف أن الموت قوة خارقة وسيطرة خيالية فلا مفر منه سواء أكان إنسان أم حيوان واصفا إياه بالعقاب الذي يمتاز بالقوة والشدة وعيشه فيه تعب دائم فهو مستقر في المرتفعات ثم يصفها بالأم التي تطعم صغيرها (تلحم فرخها) في أول باكورة الصباح دلالة على الهمة والنشاط واستمرارية العمل وتحمل الصعوبات ثم يؤكد ان هذه (اللقوة) الغراب ينفض ذلك الطل المتراكم على ريشها الأسود على غير عادة باقي الطيور التي تظل رهينة البرد وفي ذلك دليل على قوتها وبأسها الذان لم يقفا عائقا في النهاية أمام سطوة الموت.

- الصقر:

يمدح الشاعر إسماعيل بن بلبل فيقول[2]: الطويل

فتى من بني شيبان في مشمخرة[3] شديد على الراقي رقي صعودها

نمته من العليا جبال صقورها وحفت جنابيه غياض أسودها

يصف الشاعر بيان قوة الممدوح وعلو مكانته وعدم القدرة من النيل منه ومطالبة الأسود بأسفل الجبل له.

---

[1] الطل : المطر الضعيف، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة طل.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص٦٠٥.

[3] المشمخر : الجبل العالي، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة شمخر

ويقول[1]: الرجز

فانقض كالطاوي من الصقور

بطاعة الراغب لا المجبور

يصف الشاعر بيان دقة ممدوحه بدقة الصقر في رؤيته فرائسه في قتاله أعدائه، وشدة بأسه، وانقضاض الصقر عليهم وقدرته الفائقة على اصطيادها.

- الحشرات والزواحف:

أما الحشرات، فقد وظفها الشاعر كثيرا في قصائده؛ لأنها "مثل المخلوقات الأخرى الموجودة في عالمنا الواسع، ويوجد لها أكثر من مليون صنف ونوع من هذه الكائنات، والبعض منها لازمت الإنسان منذ القديم وإلى يومنا هذا"[2].

كما نعلم أن الحشرات كثيرة جدا ومتنوعة وبأحجام وأشكال مختلفة، ولكل حشرة صفات وحياة مختلفة عن الأخرى.

- النحل:

سنتناول في هذا المبحث حشرة النحل، الحشرة التي أكرمها الله تعالى في كتابه العزيز بسورة كاملة أظهرت فوائدها ومنافعها وبينت لبني الانسان كيف يمكن أن يتخذ هذه الحشرة قدوة له في تأسيس بيته وعالمه وأسرته، فالنحلة التي عرفت بفوائدها الكثيرة والمهمة للإنسان لعبت دورا مهما في حياتنا، فهي حشرة نافعة يستفيد منها الإنسان في غذائه وصحته ولا يخفى على الجميع أن لها مكانة كبيرة في التراث العربي الإسلامي.

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص٩٨٩.

[2] حسين، محمود حسين عبد الرحمن، مفهوم التاريخ الطبيعي لحشرة النحل في التراث الإسلامي، مجلة التراث العلمي العربي، فصلية علمية محكمة، مركز بحوث ومتحف التاريخ الطبيعي، جامعة بغداد، عدد٤، العراق٢٠١٥م، ص ٣٤٥.

والشاعر ابن الرومي كان من بين الشعراء الذين تحدثوا عن هذه الحشرة النافعة، في قصيدته التي كان يمدح فيها عبيد الله بن عبد الله[1]، فقد قال قصيدة طويلة وجميلة جدا شبه فيها عمل الممدوح كعمل النحل:[2] (الوافر)

فتى صرحت خلائقه قديما فليست بالسمار ولا الشهاب

ولم يخلقن من أري جميعا ولكن هن من أرى وصاب

وما من كان ذا خلقين شتى وكانا ماجدين بذي ائتشاب

له حلم يذب الجهل عنه كذب النحل عن عسل اللصاب

نلاحظ أن الشاعر في هذا النص يوظف صفات النحل الدؤوبة في تشبيهه بصفات الممدوح، فهو الذي يعمل بصدق وجد وصمت، ولا يقول ما ليس باستطاعته، ويقول ويعمل بحلم ودراية وعقل وصبر كما تعمل النحلة.

- الذباب:

يتحدث ابن الرومي عن الذباب الأزرق في ذات القصيدة التي يمدح عبيد الله بن عبد الله:[3](الوافر)

---

[1] عبيد الله بن عبد الله: هو أبو الحكم أديب وعالم بالطب والهندسة والحكمة، له ديوان شعر جيد يغلب عليه المجون سماه نهج الوضاعة لأولي الخلاعة، هو أندلسي الأصل، من أهل المرية، ولد باليمن، واشتهر ببغداد.. ينظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج٤، دار العلم للملايين، بيروت ٢٠٠٢م، ص١٩٨.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص٢٥٩.

[3] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص٢٥٨.

يذكرني الشباب جنان عدن على جنبات أنهار عذاب

تفيئ ظلها نفحات ريح تهز متون أغصان رطاب

إذا ماست ذوائبها تداعت بواكي الطير فيها بانتحاب

يذكرني الشباب رياض حزن ترنم بينها زرق الذباب

يصور الشاعر شبابه بالربيع والخضرة ، وقد ظهر فيه صوت ترنيم الذباب.

وله قصيدة كتبها إلى القاسم بن عبيد الله [1] وظف فيها الذباب، كما جاء بقوله:[2] (الخفيف)

وإليك الشكاة يا ابن الوزيرين فإني في محنتي أيوب

غير أني أرجو كما نال بالصبـ ـر وما نال قبله يعقوب

قد ترى ما أظلني من فراقيـ ـك، ومن دون ذاك تنبو الجنوب

ثم من معشر يدبون بالإفـ ساد للحال، واللئيم دبوب

---

[1] ترجم له سابقا، ص ٢٧.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص٣٢٢.

أهل ضعن متى يغيبوا يقولوا ويعيبوا وكلهم معيوب

يحسدوني فضيلتي مثل ما يحـ سد بعل العقيلة المحبوب

وهم ـلو رآك ليتك ترعا ـهـ ذباب عن وجهه مذبوب

من الملاحظ أن النص يتضمن شكوى للقاسم من قبل الشاعر؛ فقد ضامه الضيم لدرجة أنه شبه صبره بصبر نبي الله أيوب ـ عليه السلام ـ ونبي الله يعقوب ـ عليه السلام ـ فقد عرف عن هذين النبيين الصبر الكبير الطويل، كما نجده يصور الحساد والظالمين له فقد حاولوا ونجحوا في تفريق الشاعر عن الممدوح، وهو يعاني ما يعاني من أثر الفراق والعوز والجوع، ورث الثياب ، ويصور الحساد بالذباب الذي يذبه عن وجهه.

ـ العنكبوت:

وظف الشاعر العنكبوت في قصيدة مدح فيها آل سليمان بن وهب[1] قائلا:[2] (الخفيف)

شاهد أن نعمة الله فيكم آل وهب ما حالف اليم حوت

كم عدو لهم غدا وهو مغمو ر بنعماء منهم لا مقوت

---

[1] سليمان بن وهب: بن سعيد بن عمرون بن حصين، الوزير الكبير أبو أيوب الحارثي، الكاتب مولده بسواد واسط. مات محبوسا سنة اثنتين وسبعين ومائتين، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، الجزء ١٣، ص١٢٧.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص٣٦٦.

لو صحا ود أن عمركم الممـ ـدود فيه وعمره المسحوت

كادكم معشـر، وأوهن بيت ما بنته من غزلها العنكبوت

يستثمر الشاعر العنكبوت في تصويره لصفات الممدوح فهو من نسب عريق أصحاب نعم وقوة ، ولا يستطيع الأعداء والحاسدون أن يتطاولوا عليهم، فهم ضعفاء لا يستطيعون عمل أي شيء ، وبيوتهم مبنية من سراب كبيت العنكبوت فهو ضعيف يستطيع أي شخص أن يهدمه، وعلى عكس ذلك بيوت الممدوح.

- الأفعى:

وصف ابن الرومي الأفعى[1]: الكامل

فإذا تفرد للخطوب بفكره فله سكينة حية مطراق

وذكرها في مواطن الهجاء[2]: المتقارب

يخالف إخوانه في الطريق إلى أن تضمهم المائده

فبينا كذلك إذ هم به مع القوم كالحية الراصده

يلين الطعام على ضرسه ولو كان من صخرة جامده

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٤، ص١٦٦٧.

[2] المصدر السابق، ج٢، ص٦٨٢.

ويأكل زاد الورى كله ولكنها أكلة واحده

ولو عاينته جحيم الإله لخرت لمعدته ساجده

هنا كسر لأفق التوقع وفق ما يعرف بنظرية التلقي، فالغرض الرئيس في البيت هو المدح والثناء للممدوح، لكن الشاعر، هنا، يشبه ممدوحه بالحية، التي ترد وفق المألوف صورة سلبية، ما يستوقف المتلقي ويثير دهشته، وإنما جاء هذا التشبيه الذي يحتمل المفارقة كذلك ليخدم المعنى وغرض المدح، فهذه السكينة التي يمتاز بها الممدوح، في لحظات الخطوب والأهوال، هي سكينة في غير موضعها المألوف، لا تتأتى إلا لذي جنان ثابت ورؤية عميقة وحنكة وصبر ودراية وحكمة، سكينته تماثل سكينة الأفعى، التي ترصد فريستها وتكون في حالة استعداد تام للانقضاض، حيث تكون فيها في أعلى مستويات السكينة، وهذا ما يفسر إلحاق صفة (مطراق) لها، فهي مطراق كثيرة الصيد، تملك الخبرة الكافية، فالمطراق في اللغة صفة تدل على الكثير المتتابع

وعلى غير ذلك التوظيف الإيجابي للحية، ترد الحية عنده صيغة سلبية ضمن قالب سردي، إذ ترد صورة الحية صورة جزئية في هذا السرد، الذي يعكس شراهة ذلك الأكول، القادر على رصد زمن الأكل والحضور في الوقت المناسب، فالأكول وفق هذه الصورة الجزئية كالحية الراصدة، التي تتبع فريستها بدقة كبيرة، لتنقض عليها في الوقت المناسب.

الفصل الثاني
وصف الطبيعة الصامتة والصناعية في شعر ابن الرومي

تشكل الطبيعة نبعا ثرا طالما استقى منها الشعراء أعذب المعاني وأجملها، واستلهموا من عناصرها ومظاهرها أبدع الصور؛ حيث قطعوا الفيافي، وساهروا نجوم الليل واستهدوا بها في أسفارهم. وتغنوا بالقمر، واستعملوه في وصف محبوباتهم، وتغزلوا بالشمس، ووقفوا على الأطلال، وتنسموا نسائم الصبا فهاجت مشاعرهم ونطقوا بأجمل الكلام وأعذبه، وانطبعت في قلوبهم وأرواحهم صور الطبيعة ومظاهرها الرائعة، فعكسوها معاني زخرفت بها قصائدهم.

لقد تناول الشعراء العرب الكثير من مظاهر الطبيعة الساكنة، كالصحراء التي كانت بالنسبة لهم الطبيعة التي نشؤوا وترعرعوا فيها، وتركز ذكرها في قصائدهم المدحية، فوصفوها بالقفر، والوحشة، وصعوبة الارتياد؛ ليدللوا بها على شدة العقبات التي تجشموها في سبيل الوصول للممدوح، و"عدوا ارتيادها بكل ما فيها من وحشة ومخاطر دلالة على البطولة والفروسية، كما تغنوا بسعتها، ورمالها، وأصوات حيواناتها، وأحوالها في الصيف والشتاء، وفي الليل والنهار، وعند الجفاف ووقت نزول الأمطار. فلم يكن وصفها غاية بذاته، بل للتفاخر، وهو أمر لازم الشعراء في عصور مختلفة، فكان كحلية فنية للقصائد وسنة اتبعوها"[1].

وأذهلت الطبيعة الأدباء والشعراء في شتى بقاع الأرض، لما تتسم به من سحر وجمال، والتي تمثلت بالطبيعتين: "الطبيعة الحية أو المتحركة؛ وهي التي تصف الحيوانات، والطيور، والحشرات، والطبيعة الصامتة أو الساكتة؛ وهي التي تتمثل بالجبال، والصحراء، والرمال، والصخور، والبحار والأنهار، والسماء، والحدائق، والحقول..."[2].

---

[1] السوداني، صفية، الوصف في شعر ابن الرومي، ص٤٥.

[2] الكلي، دلسوز، صورة المشرق في الشعر الأندلسي من الفتح إلى نهاية القرن الخامس الهجري، رسالة دكتوراه، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن٢٠١٧م، ص ٧١.

أولاً: وصف الطبيعة السماوية في شعر ابن الرومي:

انصب اهتمام شعراء العرب بالطبيعة السماوية على مر التاريخ؛ لأن العرب اهتمت بعلوم الفلك وبالسماء عناية خاصة والمطر والسحب والنجوم والكواكب وجعلوا من هذا العلم مادة ترتبط بحياتهم اليومية وأخذوا يستقون منها لأدبهم وشعرهم.

فالمتأمل للسماء بحجمها وجمالها ولونها وسحرها وعظمتها.. يذهل من شدة عظمة الخالق سبحانه وتعالى في تصويرها ورفعها بهذا الشكل المثير (بلا عمد)، وبما فيها من أنواء، وشمس وقمر وبروق ورعود، فهي كانت مرتعا خصبا للشعراء للتعبير عن ما يلوح في خواطرهم، فهي كاللوحة الفنية تجعل من الناظر لها يجيش بمشاعره فيفرغ مكنوناته النفسية بما تحمله من أفراح وأحزان وبما تحمله من خيرات تقدمها للأرض؛ ترسلها مع تلك السحب والأمطار ، "ولا يوجد شعر لا يتطرق ناظمه ولو بلمحة بسيطة إلى السماء وما تضمنه من مظاهر وظواهر تكون مادة إبداعه ومصدر إلهامه"(1)، وابن الرومي من الشعراء الذين انبهروا بها ووظفوها في شعرهم، حيث جعلها سمة مميزة من مميزات شعره.

إن الطبيعة في شعر ابن الرومي تمتاز عن شعراء العربية قبله، ويؤكد شوقي ضيف تفوقه في هذا المجال إذ يقول: "وبلا ريب يتقدم ابن الرومي شعراء العربية عامة في الإحساس بخفقات الطبيعة وهمساتها وكل حركة فيها، حتى ليشبه في هذا الجانب من بعض الوجوه شعراء الرومانسية الغربية الذين يفنون في الطبيعة ويحسون امتلاءها بالحياة، فكل ما فيها حي متحرك

ناطق، وكل ما فيها يخفق بالأحاسيس والمشاعر"(2).

- النجوم والكواكب:

"لقد أثارت النجوم والكواكب العرب كثيرا حتى أنهم نسجوا حولها القصص والأساطير، واهتموا بها خاصة في إطار أهميتها كمنارات تدل المسافر على

---

(1) عبد الله، شيماء نجم، نجوم السماء وكواكبها في شعر أبي العلاء المعري، الرؤية والتوظيف، مجلة كلية الآداب/ عدد ٩٠،العراق٢٠٠٧م، ص ٥٢٣.

(2) ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، ص٢٣٤.

الطريق في ترحاله المتواصل الذي تلونت به حياة العرب في عصور وأماكن شتى"[1]، فالنجوم وكما نعلم" تجمع الكواكب كلها"[2].

يقول ابن الرومي في قصيدة يرثي فيها يحيى بن عمر، ويستحضر فيها الكواكب[3]: (البسيط)

يا ناعي ابن رسول الله في البشر ومعلنا باسمه في البدو والحضر

لقد نعيت امرأ ظلت لمصرعه قواعد الدين والدنيا على خطر

لقد نعيت امرأ لم تحي مكرمة إلا به، وبه سارت إلى الحفر

لقد نعيت امرأ ما كنت أحسبه ينعاه إلا هوي الشمس والقمر

لو فات شيء مدى ميقاته زهر النجوم منه كل منكدر انكدرت

يتخذ الشاعر من كل المؤثرات التي تظهر توجعه وحزنه على الفقيد، مستثمرا مثيرات اللغة، حيث نجده يفتتح قصيدته بحرف النداء - يا - أي إن حسن الابتداء في هذه القصيدة وبهذا الحرف شد المتلقي ليس للنص فقط، بل للحزن الذي دل عليه النص، فالنص هنا عبر عن خلجات نفسه الموجوعة، التي أصابها الكدر بسبب غياب ابن عمر، السيد في قومه صاحب النسب العريق والشريف، وتجاوز حرف النداء باستخدامه حرف التحقيق - قد - المسبوق

---

[1] ينظر: نصر، عبد الملك محمد، صور الكواكب والنجوم في الشعر العربي ودلالاتها العلمية، بحث منشور لموقع البروفيسور عبدالله الطيب للغة العربية، جامعة الخرطوم، د ن، ص ٢.

[2] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة نجم.

[3] ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص١١٣٤.

بحرف اللام المتكرر في أكثر من بيت بعد بداية البيت الأول، وهذا يدل على ما هو أقوى من هذا الحزن والوجع.

وجعل الطبيعة السماوية تشاركه في نعيه وحزنه وألمه على الفقيد، فليست الأرض بترابها التي حوت الفقيد، ولا بالبشر الذين فقدوه، بل تجاوز الحزن إلى الكون بما فيه من شمس وقمر ونجوم، فكل الطبيعة السماوية تنعى الفقيد وتتألم عليه.

نجده يستغل السماء في تشبيهاته الجميلة وهو يصف جمال الروض ورائحتها العذبة كما جاء بقوله:() (الطويل)

نسيم الصبا حيا الندامى من الزهر — براح الندى صرفا، فمالوا من السكر

تنقش كف الغصن في الروض عندما — تجلت عروس الراح في الحلل الخضر

وفي الروض أمسى الجلنار كأنه — مباخر تبر عودها طيب النشر

وحاكى السما لما صفا ماء جدول — وفيه خيال الزهر كالأنجم الزهر

تراقصت الأشجار والريح قد غدا — يشبب لما صفق الماء في النهر

وأمسى المسا والغيم للبدر حاجب — وإشراق شمس الراح يغني عن البدر

() ابن الرومي، الديوان، ص ١١٥٠، ١١٥١.

بدت الطبيعة بمفاتنها الجميلة واضحة في هذا النص، وكأن الشاعر يرسم لوحة فنية تتخللها ألوان الربيع الزاهية، وتصب فيها من عطر الزهور والورود، وتنساب فيها مياه الجداول والأنهار، فيشعر المتلقي أن أصوات الغناء والطرب والموسيقى الرقيقة العذبة تصدر من اللوحة وكأنها مقطوعة موسيقية أجهدت فنانا بارعا ليؤلفها؛ فنتجت هذه القصيدة.

وقال في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر مستعينا بالنجوم في تشبيهاته ومديحه[1] (الطويل)

فيا قائل السوءى لتطفئ نوره وذلك نور لا تبوخ[2] مقابسه[3]

نل النجم فاطمسه[4]، وأنى ولو نلته ما خلت أنك طامسه تناله؟

أبا أحمد: لا زال مجدك غصة لكل حسود أو يواريه رامسه[5]

حلفت لأنت القائل الفاعل الذي غدا المجد محبوسا عليه حبائسه

يراك إذا نال النظير نظيره نظيرك مثل النجم عزت ملامسه

في مديح الشاعر لابن طاهر يتخذ من النجوم بارتفاعها سمة بارزة تعينه على توضيح صورة الممدوح الذي وصلت مكانته لنوال النجوم، حتى أصبح محسودا على هذه الصفات التي لا يمكن أن يعارضه فيها أحد ؛ لأنه كالنجم

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص ١١٧٢.

[2] تبوخ: باخت النار والحرب تبوخ بوخا وبوخا وبوخانا: سكنت وفترت، وكذلك الحر والغضب والحمى. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة بوخ.

[3] المقبس والمقباس: ما قبست به النار. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة قبس.

[4] الطمس: استئصال أثر الشيء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب ، مادة طمس.

[5] رامس: ترمس: تدفن الآثار كما يرمس الميت. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة رمس.

العالي البراق لا يمكن أن يلمسه بشر مهما بلغت مكانة الآخرين؛ لأن الممدوح في نظره ليس له مثيل.

وفي موضع آخر يبدو أن شاعرنا أصابه الأرق دون أن يظهر سبب ذلك، فكتب بيتا يشكو فيه من تجافي عينيه النوم وتعبهما من شدة السهر، فيقول[1] (الطويل)

أرقت كأني النجم يجري ويكنس مدى ليلتي أنضو دجاها[2] وألبس

الشاعر في هذا البيت يستثمر النجم في تشبيه نفسه، كالنجم الذي يظهر في ليلة ظلماء غائمة، تظهر مدى تكدره وحزنه وشعوره باليأس.

لقد استعان ابن الرومي بالنجوم في كافة أغراضه الشعرية، وهذه المرة كان في رثاء ابنه، كما جاء بقوله[3] (الطويل)

حماه الكرى[4] هم سرى[5] فبات يراعي النجم حتى تصوبا[6] فتأوبا

أعيني جودا لي فقد جدت للثرى بأكثر مما تمنعان وأطيبا

بني الذي أهديته أمس للثرى فلله ما أقوى قناتي وأصلبا

وفي هذا النص نلاحظ أن النجم يشارك شاعرنا ألمه ووجعه حيث حرمت عيناه النوم بسبب حزنه على فقدان ابنه، فاتخذ من النجم خليلا له يراعيه

---

(1) ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص ١٢٣٢.

(2) الدجى: سواد الليل مع غيم، وأن لا ترى نجما ولا قمرا. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة دجا.

(3) ابن الرومي، الديوان، ج١، ص ٢٤٤.

(4) الكرى: النوم أو النعاس. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة كرا.

(5) سرى: مضى وذهب. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سرا.

(6) تصوب: انحدر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة صوب.

ويحاوره، حتى ينحدر من مكانه ببزوغ الشمس وطلوع النهار.

وفي موضع آخر نراه يشكو من شدة طول الليل عليه، فليل شاعرنا لا ينقضي ولا يتحرك، كما جاء بقوله:[1] (الخفيف)

رب ليل كأنه الدهر طولا قد تناهى فليس فيه مزيد

ذي نجوم كأنهن نجوم الشـ شيب ليست تزول لكن تزيد

في هذين البيتين يشبه الشاعر الليل بالدهر الطويل الذي لا حدود له، هو لا ينتهي أبدا، فيرسم للنجوم صورة يستوحيها من خياله الرحب، فيراها كأنها شيب الرأس كلما مضى الوقت ازدادت وكثرت.

- الشمس:

اهتم الشعراء بالشمس ووظفوها في شعرهم كثيرا، كما اهتموا بالأغراض الشعرية الأخرى التي تظهر خلجات أنفسهم ومشاعرهم، فالشمس ترمز للنور والعطاء والدفء، وترمز للقوة بسطوع ضوئها والشموخ بنورها؛ لأن كل نور خلفه قوة، فالنور يشعرنا بالمستقبل المنير، ووضوح الرؤيا، والعلم وبالثقافة، فهي رمز للعلو والارتفاع، ولصعوبة المنال.

واستثمر ابن الرومي الشمس في مديحه لإسماعيل بن بلبل[2] كما جاء بقوله[3] (الطويل)

تحلبت[4] الأنواء بعد جمودها وأقبلت الخيرات بعد صدورها

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص ٦٩٢.

[2] سبقت ترجمته في الفصل الأول.

[3] ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص٦٠٤.

[4] تحلب: الحلب: استخراج ما في الضرع من اللبن، يكون في الشاء والإبل والبقر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة حلب.

بوجه أبي الصقر الذي راح كشمس الضحى محفوفة بسعودها واغتدى

ولما أتى بغداذ بعد قنوطها[1] وفترة داعيها وإيباس عودها

إذا ظلل قد لوحت ببروقها إلى ظلل قد أرجفت برعودها

بدا وجه الممدوح في هذا النص كالشمس في أوج ارتفاعها ونورها، هكذا كان وجه ابن بلبل ساطعا سطوع الشمس، وهذا الوهج البارق مستمد من أعماله وأفعاله الكريمة التي ليس لها مثيل، فبغداد تلك المدينة العريقة والعظيمة تشهد للمدوح بما نالته منه من خير عظيم وعطاء جزيل؛ فبعد أن كانت تعاني قبله من الجفاف والقحط واليأس من الفرج، إذا بها تنتقل على يديه إلى الحياة والنماء والرخاء.

ووظف ابن الرومي الشمس وهو يهنئ أبا العباس أحمد بن محمد بن عبيد الله بن بشر المرثدي[2]، بمولود رزق به، كما جاء بقوله[3] (السريع)

بدر وشمس ولدا كوكبا أقسمت بالله لقد أنجبا

---

[1] قنط: القنوط: اليأس، وفي التهذيب: اليأس من الخير، وقيل أشد اليأس من الشيء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة قنط.

[2] كنيته أبو العباس الكبير، له من الكتب الأنواء في نهاية الحسن، كتاب أشعار قريش، مات في سنة أربع وثمانين. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)ج:١، ص ٥٩٤.

[3] ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص ٢٣٢.

ثلاثة تشرق أنوارها لا بدلت من مشرق مغربا

بدر وشمس أبوا مشتر ما نازعت شرواه أم أبا

يرى ابن الرومي أن ممدوحه يتصف بالصفات الجميلة التي طالما تغنى بها الشعراء خاصة عند تغزلهم بالمحبوبة، وهنا كان المرثدي يتشابه في صفاته بالقمر في تمامه – بدر- وكالشمس بمكانتها العالية في عطائها الكبير.

وله قصيدة طويلة وجميلة في الطرد[1] يقول فيها[2] (الطويل)

إذا ما دعا منا خليل خليله بأفديك لباه مجيبا فأسرعا

وإن هو ناداه سحيرا لدلجة تنبه نبهان الفؤاد سرعرعا

كأن له في كل عضو ومفصل وجارحة قلبا من الجمر أصمعا

فشمر للإدلاج حتى كأنما تلف به الأرواح سمعا سمعمعا

كأني ما روحت صحبي عشية نساجل مخضر الجنابين مترعا

---

[1] الطرد: هي مزاولة الصيد أو هي فراخ النحل. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة طرد.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٤، ص ١٤٧٥.

إذا رنقت[1] شمس الأصيل[2] على الأفق الغربي ورسا[3] ونفضت مذعذعا[4]

وودعت الدنيا لتقضي نحبها وشول[5] باقي عمرها فتشعشعا[6]

ولاحظت النوار وهي مريضة وقد وضعت خدا إلى الأرض أضرعا

كما لاحظت عواده عين مدنف توجع من أوصابه ما توجعا

وظلت عيون النور تخضل بالندى كما اغرورقت عين الشجي لتدمعا

يراعينها صورا[7] إليها روانيا ويلحظن ألحاظا من الشجو خشعا

---

(1) رنق: كبر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة رنق.

(2) الأصيل: الوقت حين تصفر الشمس. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة أصل.

(3) الورس: الزعفران، يشبه منظر غروب الشمس بالزعفران الأصفر وقد تفرق متبددا. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ورس.

(4) مذعذع:ذعذع الشيء: حركه وفرقه، وقيل: فرقه وبدده ، وذعذعت الريح التراب: فرقته وذرته وسفته. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ذعذع.

(5) شول: رفع. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة شول.

(6) تشعشع: تبدد. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة شعع .

(7) صورا: مائلات الأعناق. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة صور.

وبين إغضاء الفراق عليهما كأنهما خلا صفاء تودعا

يبدو أن الشاعر عاش جو القصيدة بحذافيرها، فقد عبر من خلالها عن رحلة قضاها مع أصحاب له في أجواء جميلة ومناطق تزهو بالجمال والسحر، فتحدث عن أشياء تمثل الطبيعة ، منها أنه جعل شمس الغروب تشاركه الصورة التي رسمها، فهي بدأت بالتبدد والتحرك - بالمغيب- بدأت تودعهم، تودع ذلك النهار الجميل الذي عاشوه مع الطبيعة بجمالها وعطرها وألوانها.

إن الشمس في مغيبها هنا تعبر عن روح الشاعر الموجوعة ونفسيته المتألمة المحتارة، فغروب الشمس يعني نهاية الحياة للذين صعبت عليهم الحياة، ويعني بداية - ليل وظلام - طويل أسود كالح لا يحس به إلا من كان يقاسي ذلك الألم وتلك المحنة.

لقد غلب طابع الحزن على وصف ابن الرومي للشمس، خاصة في موضوع الغروب "الذي يوحي إليه بالزوال والفناء، ويذكره بأفول العمر، وهو يسقط عليها حزنه وأساه، وهو في ذلك يبكي نفسه، ولكنه يقر بأن هذه حالة مرضية حينما يصف الشمس بأنها مريضة تودع الدنيا، تنظر إلى الأزهار نظرة المريض إلى الأصحاء ،هكذا يبقى هاجس الفرح والصحة والتعلق بالحياة نابضا حتى في أحلك الحالات النفسية التي تعتري الإنسان"[1].

ويرسم مشهد الغروب من خلال طائفة من الصور البصرية المتتابعة في كلمات: "رنقت، نفضت" "ودعت" "لاحظت" "وضعت" "تخضل" "اغرورقت"، فينقلنا عبرها من مساء الطبيعة وشمسها الغاربة إلى مساء الإنسان وحياته الزائلة، إنه يضعنا في جو وجداني إنساني، فالشمس مريضة شاحبة الجبين من هول الفراق، مضرعة الخدين، كسيرة الأحداق، والأزهار مغرورقة الدموع حزنا على الشمس المحدقة بها كعيني مريض ينظر إلى

---

[1] اليافي، عبد الكريم، دراسات فنية في الأدب العربي، ط١، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م، ص٤٤٧.

عواده. أما الروض فقد ضربت به صفرة الشمس، وغدا مزيجا بين لونين: هما: الأخضر والأصفر، ومال بذلك إلى الشحوب، وهي صورة توحي بالحياة والموت معا"[1].

صور جميلة تتلاءم مع ألوان الطبيعة، ومع أحزانه"يقدم الشاعر تلك الصور في مشهد واحد، يموت فيه النهار ويولد الليل، ويلج الشاعر أعماق الحياة والكون، فلا يبصر سوى الموت والفناء. ولا شك في أن وصفه لغروب الشمس وملاحظتها للنوار وهي تغرب واخضلال عيونه بقطرات الندى إذ ذاك من أبدع ما عرف تاريخ الشعر، وانطلاقا من هذا الوصف فهم ابن الرومي حقيقة الشعر وأدرك أبعاده، هذه الحقيقة التي تجعل من الشعر وسيلة لإدراك حقائق الوجود، من غير أن ينقلب إلى تنظير وفلسفة"[2].

يبدو أن ابن الرومي كانت له وقفات مع مغيب الشمس وتصوير حالتها، فهذه المرة يشبه الشمس في مغيبها بقوله:[3](الطويل)

كأن خبؤ الشمس ثم غروبها وقد جعلت في مجنح الليل تمرض

تخاوص[4] عين مس أجفانها يرنق فيها النوم ثم تغمض الكرى[5]

---

[1] أبو زيد، سامي، ابن الرومي؛ قراءة نقدية في شعره، عمان: دار عالم الثقافة، ٢٠١٨، ص٢٢٣-٢٢٤.

[2] أبو زيد، سامي، ابن الرومي؛ قراءة نقدية في شعره، عمان: دار عالم الثقافة، ٢٠١٨، ص٢٢٤.

[3] ابن الرومي، الديوان، ج٤، ص ١٤١٨.

[4] خاوص الرجل: غض من بصره شيئا، وهو يحدق النظر كما لو نظر إلى عين الشمس. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة خوص.

[5] الكرى: النوم. ينظر: ابن منظور، لسان العرب. مادة كرا.

هنا يصف ابن الرومي حالة الشمس عندما تغيب كأنها تختبئ في جناح الليل، جاعلا من صفار لونها عند المغيب متشابها مع صفار وشحوب الوجه عندما يمرض الإنسان، أي إنه يشبه الشمس بكائن حي يحتاج النوم ويتألم ويتعب، ويرى أجفانها ذابلة متهدلة من شدة النعس والأرق والتعب، فهو يتخيل الشمس تصور حالته.

إن منظر الغروب مألوف عند معظم الناس، وكذلك منظر ذبول الجفن عند النعاس، وقد لا يلتفت أحد إلى الحركة المستوفاة بين انحجاب ثلثي قرص الشمس المرئي عند الغروب، وبين المعاناة اللامحة الخفيفة عند استلانة الجفنين للنوم، وارتعاشة آخر طيف من جناح فراشة اليقظ.

لقد نجح خيال ابن الرومي في تأليف علاقات جديدة مبتكرة بين شكلين حسيين مألوفين، ولكنك تحس بعد الغوص في أعماق هذه الأبيات بأنك بحاجة إلى مراجعة الذاكرة البصرية لمنظر الغروب ومنظر النعاس، وتأمل لفظة "تخاوص" الدالة على الحركة البطيئة، والتي لا يمكن تجسيدها في لوحة تشكيلية[1].

ويستثمر الشاعر صورة قريبة من هذه لوصف فتاة وقد أطلت في غلالة من الند، فكأن إشراقتها شمس في يوم دجن مطير، أو نهار يطلع في ليل معتم:[2] (البسيط)

يغيم كل نهار من مجامرها ويشمس الليل منها فهو ضحيان

كأنها وعثان الند يشملها شمس عليها ضبابات وأدجان

شمس أظلت بليل لا نجوم له إلا نجوم لها في النحر أثمان

---

[1] صيام، بسام إسماعيل، التشكيل الحسي في شعر الطبيعة العباسي في القرن الثالث الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة العلوم الإسلامية، غزة، ٢٠١٧، ص١٧.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج ٦، ص٢٤٢٣.

ويصف ابن الرومي شمس آذار المختبئة خجلا وراء الغيوم، اختباء يغوي الناظر بالإمعان لما فيه من جمال، فكأنها العروس الخجلة ليلة عرسها، مجلوة بهية لا تمل عيون بعلها نظرا إليها، نظرات أخجلتها فتسترت حياء وراء غلالة شفيفة كتلك الغيوم الناعمة التي احتجبت وراءها شمس آذار، كلاهما ضياء، وفي اختفائهما نشوة وحبور[1]: (الخفيف)

وتظهر الشمس في النشاص[2] لنا من خلل الغيم إذ تغشاها

مثل عروس تسترت خجلا من بعلها بعد أن تجلاها

- القمر:

كان القمر بالنسبة للشاعر العربي ملهما كبيرا باعتباره أحد النيرين اللذين أثرا في ظواهر الطبيعة، "حيث كان له حضور كبير في تفكير الشاعر شأنه شأن الكثير من عناصر الطبيعة"[3]. فالقمر بضوئه الساطع الذي ينير الأرض بالليل المعتم مصدر إلهام للشاعر المحب والموجوع والمأسور والمظلوم ، وابن الرومي مر بظروف متغيرة ومختلفة، فهو عاش فترات عصيبة كان يعاني فيها من صراع دام طويلا يؤلمه ويؤرقه، وعاش أياما منعما فيها، وفي هذا وذاك كان -القمر- يمثل وحيا له، يبث في داخله أحاسيس تتلألأ في ليل عابس مظلم، وأحاسيس ترميه بين أقدار الزمان الذي نابه في ما ناب.

لقد استثمر ابن الرومي بإحساسه الرهيف القمر بنوره وبكل أشكاله ببدره واكتماله، وهلاله وضعفه،فكانت له وقفات كثيرة يتأمل بها القمر،ومنها قوله في النجوم والقمر[4]: (الكامل)

---

[1] المصدر السابق، ج١، ص ١٢٥.

[2] النشاص: السحاب المرتفع، وقيل هو الذي يرتفع بعضه فوق بعض. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة نشص.

[3] اشتية، فؤاد يوسف، القمر في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين٢٠١٠م، ص ١٠٨.

[4] ابن الرومي، الديوان، ج٤، ص ١٧١٥.

ومدامة[1] كدم الذبيح شربتها والبدر يجنح من خلال المشرق

وكأنما زهر الكواكب حوله درر نثرن على بساط أزرق

لقد صور البدر في هيئته تلك وحوله النجوم الزواهر بالدرر، التي نثرت على بساط أزرق.

ويقول أيضا في القمر[2](الكامل):

يا من بغرته الهلال أما ترى قمر السماء وقد بدا في المشرق

كخريدة[3] نظرت إلى إلف لها فتلثمت خجلا بكم أزرق؟

تبدو صورة القمر كفتاة بكر عاشقة ولهانة؛ ولكنها خجلة من النظر لحبيبها، وعند محاولة النظر إليه تغطي وجهها بكمها الأزرق لكي لا يراها الحبيب وهي تنظر إليه. يالها من صورة حسية ! دقت فيها مشاعر جياشة ترتقي بذلك الخجل الأنثوي، الذي يزيد من جمال الفتاة، وكأن ابن الرومي يصور عفة الفتاة مع حيائها الذي كان مألوفا في ذلك الزمان، فعلى الرغم من حبها الشديد للمعشوق، لكنها لا تتجرأ وترفع عينيها بوجهه.

---

[1] مدامة: والمدام: الخمر، سميت مدامة لأنه ليس شيء تستطاع إدامة شربه إلا هي. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة دوم.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٤، ص ١٧١٥.

[3] خريدة: الخريدة والخريد والخرود من النساء: البكر التي لم تمس قط ، وقيل : هي الحبيبة الطويلة السكوت الخافضة الصوت. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة خرد.

ولابن الرومي قصيدة جميلة يذم فيها القمر قائلا:[1] (الخفيف)

رب عرض منزه عن قبيح دنسته معرضات الهجاء

لو أراد الأديب أن يهجو البد ر رماه بالخطة الشنعاء

قال: يا بدر ، أنت تغدر بالسا ري ، وتزري[2] بزورة[3] الحسناء

كلف في شحوب وجهك يحكي نكثا فوق وجنة برصاء[4]

يعتريك المحاق ثم يخليـ ـك شبيه القلامة[5] الحجناء[6]

ويليك النقصان في آخر الشهـ ـر فيمحوك من أديم السماء[7]

فإذا البدر نيل بالهجو، هل يأ من ذو الفضل ألسن الشعراء؟

لا لأجل المديح بل خيفة الهجـ ـو أخذنا جوائز الخلفاء

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص ١٣٥.

[2] تزري: تعيب عليه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة زري.

[3] الزور: الصدر وقيل وسط الصدر وقيل أعلى الصدر وقيل ملتقى أطراف عظام الصدر . ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة زور.

[4] البرصاء:البرص هو داء معروف وهو بياض يقع في الجسد.ينظر: ابن منظور،لسان العرب،مادة برص.

[5] قلامة: ما يقلم به الظفر إذا طال. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة فسط.

[6] الحجناء: حجن العود يحجنه حجنا وهو اعوجاج الشيء . ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة حجن.

[7] أديم السماء: ما ظهر منها. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة أدم.

أظهر ابن الرومي في القمر عيوبا عدة، أظهره شاحبا يشبه الوجنة البرصاء التي تنفر العين منها وقد علته نقاط سوداء ،ويأتي عليه المحاق آخر الشهر، فينقص ويصبح صغيرا لا قيمة له كقلامة أظفر، ثم ما يلبث أن يختفي تماما.

إن ابن الرومي شاعر موقف ولحظة، لا يمكن أن يفوت منظرا شاهده أو حادثة حدثت أمامه إلا وارتجل قصيدة أو أبياتا في ذلك، فله أبيات لطيفة في منظر رآه لعامل الخبز وهو يمشي في الأسواق، فاندهش من سرعته في العمل وكيفية صنعه للخبز على شكل قرص دائري كالكرة بسرعة فائقة، ثم يفردها فتصبح كالقمر ، كما جاء بقوله: (البسيط)

ما أنس لا أنس خبازا مررت به يدحو[1] الرقاقة وشك اللمح بالبصـر

ما بين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها قوراء[2] كالقمر

إلا بمقدار ما تنداح دائرة في صفحة الماء ترمي فيه بالحجر

وله قصيدة يرثي فيها خاله ويستثمر القمر في رثائه[3] فيقول :(الطويل)

فتى كان كالعذراء في ظل خدرها وكالأسد الرئبال[4] في ظل داره

---

[1] الدحو: البسط . دحا الأرض يدحو لها دحوا: بسطها. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة دحا.

[2] قور الشيء: جعل في وسطه خرقا مستديرا كما يقور الثوب أو البطيخ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة قور.

[3] ابن الرومي: الديوان، ج٣، ص ١١٣١.

[4] الرئبال: من أسماء الأسد والذئب. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة رأبل.

مضـى قد تناهى سؤددا[1] غير أنه مضـى نصفا قد لاح شيب عذاره

خبا قمر الدنيا لحين اتساقه[2] فيا أسفا هلا لحين سراره[3]

علاه كسوف البدر عند تمامه ملح به حتى هوى في مغاره

ويصف ابن الرومي القمر في سريانه[4]: (البسيط)

وأسفر القمر الساري فصفحته ريا لها من صفاء الجو لألآء لأ

يصور الليلة القمراء وهي كاملة متحركة من بداية الإسفار إلى السريان إلى الصفحة الريا التي تطالعك بالامتلاء والنداوة، إلى الصفاء المحيط بكل هذا، فاللألاء المشرق على ذلك الصفاء، فلكل كلمة نصيبها من التلوين والتمثيل والتبيين.

ومما يروى عن ابن الرومي غيرته من قدرة ابن المعتز على وصف القمر بصورة لم يستطع هو أن يبلغها، فقد ورد في "غرائب التشبيهات" للأزدي[5]: "ذكر ابن رشيق صاحب العمدة أن لائما لام ابن الرومي وقال له: لم لا تشبه كتشبيه ابن المعتز، وأنت أشعر منه؟ قال: أنشدني شيئا من شعره الذي

---

[1] سؤدد: العظم والمجد والشرف. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سود.

[2] الاتساق: يقال للقمر إذا اتسق: اجتمع نوره واستوى أمره، وذلك حين يكون بدرا. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة وسق.

[3] سراره: المروءة والشرف والرفعة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سرا.

[4] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص٥٥.

[5] الأزدي، ابن ظافر، غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، تحقيق محمد زغول سلام ومصطفى الجويني، القاهرة: دار المعارف، ٢٠١٠، ص١٥٧.

استعجزتني في مثله: فأنشده في وصفة الهلال[1]:(الكامل)

فانظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

قال: زدني، فأنشده[2]:

كأن آذر يونها والشمس فيه كاليه

مداهن من ذهب فيها بقايا غاليه

فصاح: واغوثاه، يا لله، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، ذاك إنما يصف ماعون بيته؛ لأنه ابن الخلفاء، وأنا مشغول بالتصرف في الشعر وطلب الرزق به"[3].

- الليل:

ففي وصف الليل والأفلاك، اتفق الشعراء على عناصر ثابتة يضمنونها موصوفاتهم لها، فالليل بالنسبة لهم طويل، يكاد لطوله أن يكون أبديا، وهو عند بعضهم "ثابت لا يتحرك"، أما النجوم: فقد بدت لهم دائما متلائمة، وشبهوها مربوطة بحبال شديدة الفتل إلى جبل ضخم، فهي - لديهم- ثابتة لا تتحرك مثل الليل، وإن كان لبعضهم فضل تجديد في صور الليل وأفلاكه، كذلك تناول الشعراء الشمس والقمر كمظهر من مظاهر الطبيعة الساكنة بصور لطاف عذاب.

---

[1] ابن المعتز، عبدالله، ديوان ابن المعتز، تحقيق: كرم البستاني، ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٦١، ١٨٥.

[2] ابن المعتز، عبدالله، ديوان ابن المعتز، ص٣٥٣.

[3] ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٤، دار الجليل، بيروت: ١٩٨٤، ٢٣٦/٢. معاهد التنصيص، ج١/ص١٠٨. ابن تغري بردي الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف(٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط١، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٩٦٣، ٩٦/٣.

إن لليل سمة تختلف عن بقية الظواهر الكونية، فهو مؤثر أكثر من أية ظاهرة أخرى "ولطالما كان خليل الشعراء ففيه تجتمع مشاعرهم، ويخرجون ما تجوبهم من أحاسيس عميقة ومشاعر مرهفة، ولمنظره الموحش المخيف رهبة في نفوسهم، فقد تحدثوا عن كيفية اجتيازهم للمفاوز في الليل، واعتسافهم دجى الليل المظلم"[1].

والشاعر لحظة شعره يكون قد انتقل من حال (الرؤية)[2] إلى حال (الرؤيا)، وفي الحال الأخيرة تقف النفس الإنسانية على أبعادها الحقيقية والجوهرية"[3].

يقول ابن الرومي واصفا ليلا مظلما:[4] (الطويل)

وظلماء ما في سدها من خصاصة لعين ولا فيها لذي الرأي محدس

عفا جلبها آي الهدى من سمائها وغطى على أضوائها فهي طمس

يرى الشاعر أن الظلام مستمد من اللون لا من الليل، فتوظيف اللون" يحمل قدرا كبيرا من العناصر الجمالية، وإضاءات دالة تعطي أبعادا فنية في العمل الأدبي على وجه الخصوص"[5].

---

[1] حسن، رشدي، شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني، ص ١٠٤.

[2] الرؤية: النظرة المادية والواقعية للأشياء، وهي مرتبطة بالحس والعقل، وبكل ما هو جزئي وآني.
الرؤيا: هي البعد المتجاوز لكل ما هو مادي وواقعي وجزئي، مرتبطة بمنطقة الحلم، تتجاوز حدود العقل وحدود الذاكرة.(انظر: أحمد الطريسي أعراب، التصور المنهجي ومستويات الإدراك في العمل الأدبي والشعري، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع. الرباط ، ١٩٨٩، ص ٢٣.

[3] الطريسي، أحمد، الرؤية والفن في الشعر العربي الحديث بالمغرب، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط١ ١٩٨٧، ص ٣٦. وينظر: الغسيني، زاهر بن بدر، علاقة اللون بالصورة الشعرية في شعر ابن خفاجة الأندلسي، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان،٢٠١٣ ص ١١٥.

[4] ابن الرومي، الديوان، ج٣، ١٢٣٣.

[5] زواهرة، ظاهر محمد هزاع، اللون ودلالته في الشعر، الشعر الأردني نموذجا، دار الحامد،٢٠٠٨م، ص ٦٥.

أبدع ابن الرومي في وصف الليل الطويل ذي النجوم التي لا تغيب، وهي مرتبطة في نفس الشاعر بشيء آخر عذبه طوال حياته، وهو الشيب الذي لا يزول، بل يزيد في الرأس مر الزمن ، فيقول:[1] (الخفيف)

رب ليل كأنه الدهر طـــولا قد تناهى فليس فيه مزيد

ذي نجوم كأنهن نجوم الشيب ليست تزول لكن تزيد

لقد خلط الشاعر صورة الليل بنجومه بصورة الشعر بشيبه، ووحد الصورتين بالإحساس العميق بالأسى، وعلى الرغم من تشبيهه الشيب بالنجوم، وفي ذلك جمال بارع، إلا إن العبارة تخفي سخرية أليمة؛ ففيها نوع من الاستسلام لهذا القدر الظلوم القاسي[2]. وثمة مفارقة عجيبة يقيمها الشاعر بين طول الليل وتناهيه، فإذا علمنا أن الدهر لا ينتهي إذ ليس له آخر، فكيف يجتمع النقيضان، التناهي في قوله :" قد تناهى "وعدمه؟ إن العقل الفلسفي الجدلي يقبل بهذا؛ لأن الزيادة في الشيء تعني أنه كان ناقصا وأنه بحاجة إلى التمام، وبما أن الدهر لا ينتهي فهو لا يحتاج إلى زيادة، وكأنه قد بلغ نهاية الاتساع والامتداد، وتناقض المعنيين ظاهريا ووحدتهما جوهريا دليل على قوة الفكرة ورسوخها في نفس الشاعر التي تعاني وطأة هذا الزمن الأسود.

واعتمد على الليل في التفجع على شبابه، وبث صوره السوداء، فوقف عند المشيب وربط بينه وبين صورة النجوم المنكدرة قائلا:[3] (الطويل)

نراع إذا لاحت نجوم مشيبنا كأن نجوم الليل منكدرات

وتنفطر الأكباد عند شموله كأن الطباق السبع منفطرات

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص ٦٩٢.

[2] الصفدي، ركان، ابن الرومي، الشاعر المجدد، ص١٣٦.

[3] الصفدي، ركان، ابن الرومي، الشاعر المجدد، ج١، ص ٣٨٨.

يظهر الشاعر أن صورة شيب رأسه تتشابه مع صورة النجوم المتلألئة في الظلام الحالك، ويظهر حزنه على هذا الشيب الذي يعبر عن شباب فني وهرم قادم، يعبر عن روح بدأت بالانقضاء دون سعادة؛ لأن الشيب يعبر عن حزن الإنسان المتألم، وليس على فرح الإنسان بحياته وشبابه.

- الثريا:

إن العرب من أعلم الناس بالنجوم وأنوائها؛ فكانت الغبراء فراشهم، والخضراء غطاءهم؛ لذلك أبدعوا أيما إبداع في معرفة النجوم، ولقد تغنى العربي بالنجم فمرة يشكو له طول السهر وعزوب الكرى عن أجفانه، ومرة يشبه محبوبته به من جهة النور والتلألؤ، فهو من رفقائهم في حلهم وترحالهم[1].

يقول الجواليقي إن: "الثريا تسمى النجم، فكل لفظ للنجم في الشعر العربي يراد به (الثريا) دون غيرها من الكواكب"[2].

ولنجم الثريا تحديدا حظوة كبيرة عند العرب، "فمنذ نشأتهم يولونه مكانة خاصة في حياتهم العامة؛ حيث ورد اسم الثريا في كثير من قصائد الشعراء منذ العصر الجاهلي حتى وقتنا الحاضر، كما أطلقوا اسم "ثريا" على بناتهم و"ثري" على أولادهم"[3].

كما أن نجم الثريا استثمر في كثير من مفاصل الحياة "فمن اسم الثريا اشتقت كلمة "ثروة" الدالة على الخير، وورد في أمثال العرب مثل قولهم: "فرق بين الثرى والثريا" عند المقارنة بين شيئين مختلفين في القيمة والاعتبار. ووردت في صيغة مثل آخر كقولهم: "أبعد من الثريا" إذا كان الشيء بعيد المنال"[4] والحديث عن هذا النجم ومكانته وولع المجتمع به سواء أكان العربي أم الغربي يطول جدا.

---

[1] التربان، شريف، لفظ النجم في شعر العرب، شبكة سحاب الإلكترونية، ٢٠١٤/٥/٢٣، https://www.sahab.net/forums/index.php?

[2] الجواليقي، موهوب، شرح أدب الكاتب، تحقيق ودراسة: طيبة حمد بودي، ط١، الكويت: مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٥م، ص١٧٩.

[3] اليوسف، منصور بن صالح، الثريا في سماء العرب، مقالة في جريدة الجزيرة، السعودية في ٢٠١١/٦/١٥م.

[4] المرجع نفسه .

وظل الشعراء في العصرين الإسلامي والأموي يسيرون على نهج الجاهليين دون تطور يذكر، في وصفهم للنجوم، " أما شعراء العصر العباسي، الحضريين منهم، فقد ابتعدوا عن حياء الصحراء وتوطنوا في الأمصار حول الجداول وحفافي الأنهار، فلم يعد لهم اهتمام بمطالع النجوم ومساقطها وأنوائها، ولكننا مع ذلك نلمح في شعرهم معرفة بعوائد عرب الجاهلية وعاداتهم، وارتباطا وثيقا بالتراث، وصلة روحية بالجزيرة العربية"[1].

وابن الرومي مثله مثل بقية الشعراء، وله أقوال كثيرة في الثريا منها:[2] (الطويل)

كأن الثريا إذ تجمع شملها رياض ربيع فصلت بشقيق

وقد لمعت حتى كأن بريقها قلائد در فصلت بعقيق

يرى ابن الرومي في الثريا "رياض ربيع تزينها الشقائق، وكأن بريقها قلائد زينت بخرز أحمر"[3]، "فأعطاها صورة ملونة مزهرة، حين شبهها بالأزهار"[4].

ونلمح في تشبيهات ابن الرومي بصمات الحياة الحضرية في ذلك العصر، فالثريا في لمعانها تشبه القرط في أذن الحسناء[5]: (الخفيف)

بختري كأنه حين يمشي يتثنى به من البان سبط

يجتني حبة الفؤاد بعين ليس في حكمها على الصب قسط

---

[1] حسن، رشدي علي، شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني،ص ١٣١.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٤، ص ١٧١٥.

[3] حسن، رشدي علي، شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني،ص ١٣٣.

[4] أبو زيد، سامي، ابن الرومي؛ قراءة نقدية في شعره،ص ٢٢٥.

[5] ابن الرومي، الديوان، ج٤، ص ١٤٣١.

وبجيد كأنما نيط فيه من نجوم السماء عقد وسمط

طيب ريقه إذا ذقت فاه والثريا بالجانب الغور قرط

وفي قصيدته التي قالها لمحبوبته المغنية "وحيد"، جارية عمهمة، وصف جمالي دقيق للخفة والطرب والمقلتين والجيد، وإغراء يتلوى به شاعرنا للاعبة ساحرة، فيشبب بها خيالا، وهذا هو المقسوم، فلا هو قادر على اللهو معها ومحادثتها، فيستخدم شاعرنا ابن الرومي الثريا للدلالة على البعد واستحالة الوصال، فحبيبته أبعد من نجم يمنح ضوءه للعين، وينأى بنفسه عن متناول اليد[1]: (الخفيف)

عجبا لي، إن الغريب مقيم بين جنبي، والنسيب شريد!

قد مللنا من ستر شيء مليح نشتهيه، فهل له تجريد

هو في القلب، وهو أبعد من نجـ م الثريا فهو القريب البعيد

وقال يعزي القاسم بمولود له واستثمر الثريا في عزائه:[2] (الطويل)

تعجل مولود ليمهل والد ولا بدع! قد يحمي العشيرة واحد

لقد دافع المفقود عنك بنفسه عراما[3]، فلا يحزنك أنك فاقد

---

[1] المصدر السابق، ج٢، ص ٧٦٥.

[2] المصدر السابق، ج٢، ص٧٩٨- ٧٩٩.

[3] عرام الجيش: حدهم وشدتهم وكثرتهم. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة عرم.

ومن قبلت منه الليالي فداءه فحق بأن يلقينه وهو حامد

على أن من قدمت عال مكانه بحيث الثريا أو بحيث الفراقد()

وما مات منه أسوة الناس ميت بل انقض منه المشتري أو عطارد

وآسى ابن الرومي الممدوح مواساة تتسم بالجمع بين عاطفة جياشة وتصبير هادف وشموخ عال، عاطفة استمدها من ديننا الحنيف، فموت الوليد الصغير يكون فداء لوالديه في يوم الحساب.

استثمر ابن الرومي هذا العطاء الذي وهبنا إياه الله تعالى جل جلاله؛ لتصبير الممدوح وتذكيره أن الفقيد ذخيرة له في يوم أهم ، وجمع هذا شاعرنا بسمتين آزرهما بالشموخ المستمد من الثريا وببريقها بين أقرانها، وارتفاعها وعلوها الظاهر للعيان.

- الشهب:

من الجدير بالذكر أن الشهب مثلت للإنسان مصدر رعب وخوف حقيقي، دون المعرفة الحقيقية لها؛ ما هي؟ ما تأثيراتها ؟ ما دورها في وجودنا؟ كل هذه التساؤلات التي يحار في الإجابة عنها الكثير من الناس.

لقد دخلت الشهب والنيازك والمذنبات، المعتقدات الشعبية والوثنية للشعوب القديمة، فكانت تمثل بالنسبة لهم "صفة روحانية أو معنوية، وكان قدماء الأغريق يبجلون النيازك، فحوت كثير من معابد الإغريق والرومان حجارة كانوا يرون أنها مقدسة ؛ لسقوطها من السماء، كما أن أغلب الشعوب كانوا

() الفراقد: الفرقد: والفرقدان: نجمان في السماء لا يغربان، ولكنهما يطوفان بالجدي، وقيل هما كوكبان قريبان من القطب، وقيل : هما كوكبان في بنات نعش الصغرى، وقالوا فيهما الفراقد كأنهم جعلوا كل جزء منهما فرقدا. ينظر: ابن منظور، لسان العرب. مادة فرقد.

يربطونها بالتفاؤل والتشاؤم، وحاولوا تفسير ظهورها وهبوطها على الأرض"[1].

ظهرت الشهب عند ابن الرومي بأغراض متعددة ،ومنها في مدح الحسن بن عبيد الله بن سليمان:[2] كما جاء بقوله:[3] (الرجز)

ونهس[4] ذؤبان الخطوب الناهسه

بمدره كلتا يديه تارسه

يأوي إلى عادية قدامسه[5]

جذل حكاك في الأمور المائسه

ذي شهب ترمى بها الأبالسه

القصيدة طويلة وتحمل في طياتها جمال الربيع بمفاتنه، حيث بدأ ابن الرومي قصيدته بوصف الربيع ناسيا ذكر الأطلال الدارسة الممحوة الأثر التي اعتاد الشعراء ذكرها في مقدمات القصائد، فوصف الروضة والأزهار متناسيا من خلالها الهموم التي أصابته، معتمدا في ذلك على شخص الممدوح، فهو من

---

[1] فريق القافلة، النيازك والشهب ، القافلة ، مجلة ثقافية متنوعة تصدر كل شهرين، السعودية، مارس ٢٠١٦.

[2] الوزير الحسن بن عبيد الله بن سلمان: وزير الإمام المعتضد كان عظيم الهيبة، شديد الإقدام، سفاكا للدماء، الصغير والكبير منه على وجل لا يعرف أحد من أرباب الأموال معه نعمة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ،ج١٤، ص ١٨.

[3] ابن الرومي، الديوان، ج٣، ١١٧٨.

[4] النهس: القبض على اللحم ونتره. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة نهس.

[5] قدمس، القدموس والقدموسة: الصخرة العظيمة ، وجيش قدموس: عظيم. والقدموس: الملك الضخم، وقيل: هو السيد. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة قدمس.

يستطيع أن يتكئ عليه، حيث يقول: ونهس... فالممدوح سيد في قومه قوي، كأن يديه قوس يتفنن المحارب الشجاع باستخدامه.. هو كالصخرة القوية يرمي الأعداء بقاذفات الحجارة المتشابهة بالشهب التي ترمى الأبالسة بها، مما يدل على قوة الممدوح، فالشاعر في هذا النص استثمر الشهب في وصف شجاعة الممدوح وصرامته في الدفاع عن قومه وأهله.

وله قصيدة يهجو فيها صاعدا وابنه أبا عيسى[1]، ويرثي داليته فيهما، كما جاء بقوله:[2] (الخفيف)

ظلماها فعوقبا بيد الله فخرا من حالق مرمريس[3]

ويد الله تلك ناصر دين الـ له ليث البراز لا العريس[4]

والشهاب الذي تهاوى فأهوى كل عفريت فتنة عتريس[5]

يذكر ابن الرومي في القصيدة التي أخذت منها الأبيات السابقة، أنه ندم على مدحه صاعدا وابنه العلاء؛ فهما ليسا أهلا للمديح، وهما لم يقدرا المديح الذي كاله لهما، فظلما نفسيهما، فنالا عقابهما الرباني الذي أودى بمكانتهما على يد الممدوح ناصر دين الله ، الذي شبهه بالأسد المقاتل لا الأسد المختبئ في عرينه، وبالشهاب المنقض السريع الذي يحرق كل عفريت متجبر من الجن، مشبها صاعدا وابنه بمردة الشياطين.

---

(1) سبقت ترجمه في الفصل الأول .

(2) ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص ١٢١١.

(3) والمرمريس: الأملس؛ ومنها الأرض التي لا تنبت. والمرمريس: الداهية. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة مرس.

(4) العريس والعريسة: الشجر الملتف، وهو مأوى الأسد في خيسه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة عرس .

(5) العترسة: الغصب والغلبة والأخذ بشدة وعنف وجفاء وغلظة ، وقيل: الغلبة والأخذ غصبا.لسان العرب ، مادة عترس .

فالشاعر هنا استثمر الشهاب وفق الموروث الديني في وصف قوة الممدوح، وسرعة حسمه للأمور، هذه القوة التي يضعف أمامها ويندحر مردة الشياطين مبتغو الفتنة.

- الجوزاء:

يصف ابن الرومي الجوزاء ويربط بينها وبين هطول الأمطار، على عادة عرب الجاهلية واعتقاداتهم، فقد كانوا يقولون لمطر أواسط يناير (كانون الثاني) الجوزاء، في مثل قوله[1]: (الخفيف)

كلما أخلفت سماء زمانا ... خلفت فيه ديمة هطلاء ج

سحسحت[2] ماءها على كل أرض ... بعد ما صافحت به الجوزاء

فحكـــت كفـــك التي تخلف المـــز ... ن علينـــا فترغـــم الأنـــواء

يتذكر شاعرنا وقتا كانت فيه السماء منهلة، ما أن تنقطع غيمة عن الهطول، حتى يخلفها هطول غيرها، تسقي كل أرض بماء منهمر، وهذا من باب التعبير عن كثرة الغيث المنهمر، وهذه الغيمة الثرة المعطاءة تشبه يد الممدوح الكريمة التي تجود بالعطاء؛ فكأنها ديمة تخلف أختها، وجود كفه غيث لا تتوقعه الأنواء.

واستثمر الشاعر هنا برج الجوزاء البعيد للتعبير عن سعة عطاء الممدوح الذي عم خيره البلاد والعباد.

"ويتمثل ابن الرومي الجوزاء بمجموعة من الناس ضمهم مجلس واحد"[3]، في قوله[4]: (الطويل)

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص ٨٤.

[2] سحسحت ماءها، صبته صبا متتابعا غزيرا. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سحسح.

[3] حسن، رشدي علي، شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني،ص ١٣٥.

[4] ابن الرومي، الديوان، ج٤، ص ١٤٧٤.

إذا ما رفعنا مقبلين لمجلس طلعنا جميعا لا نغادر مطلعا

كمنطقة الجوزاء لاحت بسحرة بعقب غمام لائح ثم أقشعا
ج

يقول ابن الرومي مستذكرا أيام شبابه: إنه وصحبه كانوا إذا خرجوا في الأرض قاصدين مكانا يجلسون فيه، يخرجون جميعا ولا يغادرون هذا المكان الذي يأنسون فيه؛ ويستثمر هنا برج الجوزاء ليعبر عن طول مقامهم في هذا المجلس، وكثيرا ما يعبر الشعراء بالنجم عن طول البقاء. كما يشير بذلك إلى رفعة هذا المجلس وجلاسه؛ فالبيت الذي يسبق البيتين السابقين يشير إلى ذلك:

تجلي عيون الناظرين فجـــــاءة لنا منظرا مروى من الحسن مشبعـــــا

- الرياح:

للرياح ـ من بين عناصر الطبيعة ـ نصيب من وصف شاعرنا، فهو يبث فيها الحياة ويعتمد عليها في بعض أغراضه الشعرية ويترسم في وصفها خطى الأقدمين حينا، ويبرز لغته الخاصة حينا آخر.

وتقسم الرياح عند العرب بحسب جهة هبوبها إلى: "ريح قادمة من الشمال وهي ريح الشام، وريح قادمة من الجنوب وهي الريح اليمانية، وريح قادمة من الغرب وهي الدبور، وريح قادمة من الشرق وهي ريح الصبا الرقيقة وتسمى القبول"[1]، وشأن ابن الرومي كشأن شعراء العصر العباسي، فإن شاعرنا يذكر رياح الجزيرة العربية وأسماءها والنواحي التي تهب منها، فيردد ذكرها وتعفيتها لآثار الديار ومحوها لرسومها، ويحمل حديثه الكثير من الألم وهو يرى ملاعب الصبا وقد أخفت ملامحها الرياح:[2] (السريع)

---

[1] حسن، رشدي علي، شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني،ص ٩٨.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص ٢٩٣.

دار عفاها بعد سكانها ساف من الشمأل والأزيب[1]

وقد نرى الأرواح تهدي لنا نشرا من الأطيب فالأطيب

لا يخفى على دارسي الأدب العربي أن الشاعر العربي ملم بالأمور الجغرافية وعلى سعة واطلاع كثير على مفاصل الحياة من كافة النواحي، فالأنواء في بغداد عن الأنواء في الحجاز، فالشاعر في الحجاز يتلقى ريح الجنوب العذبة متنعما ومسرورا بها؛ لأنها باردة عطرة، يستقبلها وهو متفائل بها،وهذا على عكس ريح الجنوب التي تهب عليه وهو في بغداد، فالريح تأتيه جافة مغبرة متربة ، أما ريح الشمال فتأتيه باردة منعشة عطرة.

تظهر مشاعر ابن الرومي وهو يتذكر الأطلال الدارسة، تلك الديار التي لم يبق فيها إلا الرياح العذبة التي تذكره بالأيام الخوالي، وبأحباب له قد غادروا، وتركوا الديار وهاجروا، وتركوه يتوجع لذكراهم.

"وكان ابن الرومي يتشاءم من ريح الجنوب ويرى أنها مصدر بلبلة وفوضى تثير الغبار، وتهلك الزرع والضرع[2]، قال في ذمها[3]: (الوافر)

فمن يطرب إذا هبت جنوب فلست لها وعيشك بالطروب

ولكني لها مذ كنت قال قلى المملوك لوالي الضروب

ولو حيت بريا الروض أنفي ولو جاءت بكل حيا سكوب

---

[1] أزيب: من رياح الجنوب، وهي الرياح التي تجري بين الجنوب والصبا. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة أزيب.

[2] حسن، رشدي علي، شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني،ص ٩٩.

[3] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

إذا سقطت خشيت لها هبوبا وإن هبت جزعت من الهبوب

ولم لا وهي زلزلة ولكن بركب الماء لا ركب السهوب

وبلبلة لأهل البر تجري فكل من أذاها في ضروب

تثير عجاجة وتثير حمى لعذب الماء طرا والشروب

وتذهب بالعقول إذا تداعت أزامل جوها الزجل الصخوب

ويضحى ما اكتسته كل أرض يميد مرنحا ميد الشروب

ويمسي النخل والشجراء منها وجلهما صريع للجنوب

فتلك الريح مما أجتويه وعلام المشاهد والغيوب

يظهر من القصيدة مدى تشاؤم الشاعر من ريح الجنوب، وكثرة المصائب التي يرى أنها تترافق معها، فحتى لو أنها قد تحيي الرياض بماء المطر الذي ينزل مع هبوبها، إلا أنه يبقى كارها لها، وأن كان هناك من يفرح بها ويطرب، فهذه الريح تثير التراب والغبار وتؤجج الأمراض والحمى، لدرجة أنها تذهب العقول.

ويعاود مرة أخرى ينحني أمام عطر ريح الشمال، فقد وجد فيها ابن الرومي بلسما يشفي القلوب مما تعانيه من هم وحزن، وتشفي الأبدان، وتسري ليلا بين الرياض؛ كأنها ريح الجنة، قائلا:[1] (الرجز)

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٦، ص ٢٢٥٢.

وشمأل باردة النسيم تشفي حرارات القلوب الهيم[1]

إذا غدت في الشارق المغيم ألوت على المهموم بالهموم

ونفسته نفس المهموم مشاءة في الليل بالنميم

بين نشير الروض والخيشوم[2] كأنها من جنة النعيم

- النسيم:

العرب يحبون هبوب النسيم الرقيق، وينتعشون معه ويتغنون به، وسموه عليلا لشدة رقته، ويقولون في وصفه (نسيم عليل يشفي العليل) فالأولى بمعنى رقيق، والثانية بمعنى مريض، وقد يقولون (... يشفي الغليل) وهو الحرقة والاشتياق لشيء غال مفقود، والعرب على العموم يحبون هبوب الهواء ويكرهون السكون، وأكثر ما يعشقون النسائم التي تهب وقت الربيع مضمخة بروائح العطر والعبير وأريج الورود والعطور، وفواح المسك الفتيق[3].

ارتبط النسيم عند ابن الرومي بالرقة واللطف، والأشجار التي تتراقص لهبوبه، وماء النهر الذي يصفق فرحا ويشبب وسط هذه النغمة الموسيقية[4]، فيقول:[5] (الطويل)

---

[1] القلوب الهيم: القلوب العاشقة، رجل هيمان: محب شديد الوجد. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة هيم.

[2] الخيشوم: أقصى الأنف. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة خشم.

[3] الجعيثن، عبدالله، النسيم العليل في الشعر الشعبي والفصيح، صحيفة الرياض، العدد ١٥٨٥٥، الاثنين ٢٥ ذو الحجة ١٤٣٢هـ الموافق ٢١ تشرين الثاني ٢٠١١م.

[4] حسن، رشدي علي، شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني،ص ١٢٧.

[5] ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص ١١٥١.

تراقصت الأشجار والريح قد غدا يشبب لما صفق الماء في النهر

ويصف نسيم شهر أيلول ذي الأماسي الباردة:[1] (البسيط)

يا حبذا ليل أيلول إذا بردت فيه مضاجعنا، والريح سجواء[2]

كما يصور احتفال الطبيعة بالنسيم الذي يهب مع السحر قبيل طلوع الفجر - وهو أصفى وقت - فإذا الأغصان تتناجى، والطيور تتنادى، والحمام يغني، والغصن يهز أعطافه، والأرض تتفجر بروائح الريحان، فيقول:[3] (البسيط)

حيتك عنا شمال طاف طائفها بجنة فجرت روحا وريحانا

هبت سحيرا فناجى الغصن صاحبه موسوسا، وتنادى الطير إعلانا

ورق تغنى على خضر مهدلة تسمو بها، وتشم الأرض أحيانا

تخال طائرها نشوان من طرب والغصن من هزه عطفيه نشوانا

" ويحمل شاعرنا نسمات الريح العليل تحياته للوطن، فتسري هذه النسمات نحو الوطن محملة بالشوق والحنين، مثقلة بروائح العطور الذكية، يقول:[4] (السريع)

---

[1] المصدر السابق، ج١، ص ٥٥.

[2] الريح السجواء: الريح الساكنة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سجا.

[3] ابن الرومي، الديوان، ج٤، ص ٢٤٦٠.

[4] ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص ١٠٣٦.

حيتك عنا شمأل سهوة تسري إذا ما عرس الساري

تنسمت تسحب أذيالها خلال جنات وأنهار

كأنما نشرة أنفاسها تصدر عن حانوت عطار
ج

هذه الأبيات مستمدة أيضا من البيئة التي يعيش فيها، حيث الرياض والبساتين والأنهار وحوانيت العطارين"[1]، فنجده ينشد:[2] (الطويل)

كأن نسيم الروض إبان نوره أرذت عليه مزنة حين أسحرا

أتانا به رش من الريح لو نأى معرسنا عنه مدى النبل قصرا

ويصف ابن الرومي نسيم ليلة جميلة بأريج الخزامى غب وسمي ثم هطل عليها (ولي) وهو المطر الذي يلي الوسمي بعد أن يظهر العشب، فيرويه وينشر روائحه الزكية:[3] (الوافر)

كأن نسيمها أرج الخزامى ولاه بعد وسمي ولي

هدية شمأل هبت بليل لأفنان الغصون لها نجي

إذا أنفاسها نسمت سحيرا تنفس كالشجي لها الخلي

---

[1] حسن، رشدي علي، شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني،ص ١٢٩.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص ٩٨١.

[3] المصدر السابق، ج٦، ص ٢٦٤٧.

في حرارة الصحراء يكون لهبوب النسيم العليل وقع الماء البارد على كبد الظمآن الذي كاد يقتله الظمأ، إنه نسيم النعيم.

ويكرر توظيف أريج الخزامى لوصف النسيم العليل الذي يذكره بالأمسيات الجميلة التي قضاها في شبابه، ومن ذلك قوله:[1] (الوافر)

تذكرني الشباب صبا بليل رسيس المس لاغبة الركاب

أتت من بعد ما انسحبت مليا على زهر الربا كل انسحاب

وقد عبقت بها ريا الخزامى كريا المسك ضوع بانتهاب

- السحاب والمطر وما يرتبط بهما (البرق والرعد وقوس الغمام):

لم يتناول ابن الرومي المطر كظاهرة طبيعية مستقلة بالوصف، بل أغلب ما قاله في وصفه متصل بناحية أخرى، كوصف الأطلال وقد عفت آثارها بفعل المطر الغزير، أو وصفه الرياض وقد اخضلت نواراتها برذاذ المطر كدرر نثرتها السماء على تلك الرياض، أو في الرثاء إذ يدعو لصاحب القبر بالسقيا لتزدهر الأرض من حوله كعهده بها في حياته، ومن ذلك قوله:[2] (الرجز)

لا يحرم الله الطلول الدرسا

أقاحيا أو حنوة أو نرجسا

تكاد رياه إذا تنفسا

تنشئ في تلك الموات أنفسا

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص ٢٥٨.

[2] المصدر السابق، ج٣، ص ١٢٠٢.

وصف ابن الرومي السحاب والأمطار وما يرتبط بهما من البرق والرعد وصفا اقتفى فيه خطى الجاهليين في صياغة العبارة ورسم الصورة، وتابع أساليبهم في وصف حال الدار بعد المطر، وصوت الرعد الذي يشبه العويل أو الزئير، والبرق الذي يخطف الأبصار، والغيم الأسود الماطر الذي يشبه قطعانا تسير مسرعة، وها هو يأخذنا في مشهد وصفي مثير للسحاب، ظننا من خلاله أن الطبيعة استحالت إلى غير طبيعتها، فقد غدت مرعبة مخيفة، أثارت حالة من الفزع في كل ما حولها، إذ يقول:[1] (الكامل)

متهلل زجل[2] تحن رواعد في حجرتيه وتستطير بروق

سدت أوائله سبيل أواخر لم يدر سائقهن كيف يسوق

فسجا وأسعد حالبيه بدرة منه سواعد ثرة وعروق[3]

وتنفست فيه الصبا فتبجست منه الكلى، فأديمه معقوق[4]

حتى إذا قضيت لقيعان الملا عنه حقوق بعدهن حقوق

طفقت رواياه تجر مزادها فوق الربا، ومزادها مشقوق[5]

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٦، ص ١٦٤٤، ١٦٤٥.

[2] زجل: ذو صوت، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة زجل.

[3] الثر: الغزير. ينظر: ابن منظور، لسان العرب ، مادة ثر.

[4] معقوقة إذا عقت فانعقت أي تبعجت بالماء، وسحابة عقاقة إذا دفعت ماءها، ينظر: ابن منظور، لسان العرب ، مادة عقق.

[5] المزاد: القربة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب ، مادة زود.

وتضاحك الروض الكئيب حتى تفتق نوره المرتوق لصوبه[1]

وتنسمت نفحاته فكأنه مسك تضوع فأره مفتوق[2]

وتغرد المكاء[3] فيه كأنه طرب تعلل بالغناء مشوق

يصف الشاعر في أول الأبيات منظر السحاب الممتلئ بالمطر، وهو يتراكم كقطيع من الإبل قد عجز راعيه عن سوقه، وكيف انهمر المطر كما يدر الحليب من ضروع النوق، ثم ينتقل الشاعر ليصف الروض بعد سقوط المطر وقد استحال إلى حق من المسك بعد أن ازدان بأنواع الزهر المختلفة.

وقام ابن الرومي بعقد مقارنة بين صورة الدار بما آلت إليه حالها من تغير، وبما كانت عليه قبل رحيل قطانها، وركز على آثار الطبيعة من مطر وبرق ورعد وسحاب ورياح، وما كان منها في تغيير الأثر الباقي، مع مقارنة هذه المظاهر حال كون سكان الأطلال بها وحالها بعد رحيلهم، كالغيث عنده يحمل صورتين كما جاء بقوله:[4] (السريع)

بكى بها الغيث على أهلها بكل عين ثرة المسكب

---

[1] الصوب: المطر الهطال، ينظر: ابن منظور، لسان العرب ، مادة صوب.

[2] تضوع: فاح، ينظر: ابن منظور، لسان العرب ، مادة ضوع.

[3] المكاء: طائر صغير يألف الريف، يجمع يديه ثم يصفر فيهما، ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط١، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤، ص٨٨٢.

[4] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص ٢٩٢.

وحال من بعدهم قطره ملحا أجاجا غير مستعذب

من ذاقه لم يختلج رأيه في أنه دمع ولم يرتب

في هذه الأبيات يصور الشاعر حال الغيث بعد رحيل الأهل وكيف أنه تحول إلى ملح أجاج غير مستساغ، أي إنه في هذه الصورة يغرق في التشبيه فيحمله إلى دمع منسكب من عين شجي براه الهوى، وجامع الصورة في الحالتين هو المذاق المالح الذي انتزعه من الدموع المالحة ليضيفه على مذاق المطر المنهمر على الأطلال الخالية من أهلها.

هذه الصورة تغيرت إلى أخرى حسنة في قوله:[1] (السريع)

وكم سقاها الغيث إذ هم بها من سبل كالشهد لم يقطب

فهو هنا شهد لذيذ الطعم، وكل هذا الاختلاف مرده إلى نفسية الشاعر، وموقفه من المطر في الحالتين، وأما جديد ابن الرومي الذي خرج فيه على أسلوب الجاهليين وطريقة أدائهم فهو نقل الغيث المنسكب من واقع حسي مألوف إلى مقابل نفسي، إذ جعله عائقا يمنعه من الوصول إلى ممدوحه[2]، يسوغ به تقاعسه عن السفر إليه فيقول شاكيا[3]: (الطويل)

إلى الله أشكو سخف دهري فإنه يعابثني مذ كنت غير مطائب[4]

---

[1] المصدر السابق، ج١، ٢٩٣.

[2] قيلت في مديح أحمد بن محمد بن ثوابة وكنيته أبو العباس، ينتمي لأسرة ثوابة الأدبية، التي تولى كثير من أفرادها كتابة الدواوين في القرن الثالث الهجري. ينظر: بابتي، عزيزة فوال ، موسوعة الأعلام العرب والمسلمين والعالميين، ط١، ج٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩، ص٦٣.

[3] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص ٢١٤.

[4] يعابثني: يمازحني، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة عبث.

أبى أن يغيث الأرض حتى إذا ارتمت برحلي أتاها بالغيوث السواكب

سقى الأرض من أجلي فأضحت مزلة تمايل صاحيها تمايل شارب

لتعويق سيري أو دحوض مطيتي وإخصاب مزور عن المجد ناكب

"ووصفه للسحائب التي لا تفرق بين حركتها وركودها؛ لأنها أطبقت على أغوار البلاد ونجودها؛ لكثرة مائها"[1]، فيقول:[2] (الطويل)

سحائب قيست بالبلاد فألفيت غطاء على أغوارها ونجودها

حدتها النعامى مقبلات فأقبلت تهادى رويدا سيرها كركودها

تحدث ابن الرومي عن " المطر وآثاره على الأرض، فارتبط ذكره بذكر السحابة العارضة والديمة الهطلاء، كما ارتبط بالرياح التي رآها تعفي الأطلال وتزيل معالمها، وجعلها أيضا تحمل الأمطار، رمز حياة الأرض وسريان الروح فيها، ومصدر اخضرار النباتات، وتفتح الأزهار والرياحين"[3].

ويصف الشاعر في قصيدة له حبات المطر وقد سقطت على روضة أزهار منوعة، ويصف زهر البهار التي تشبه الأقحوان، وقد أصابها وابل من السماء

---

[1] حسن، رشدي علي، شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني، ص ١٢٥.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص ٦٠٤.

[3] حسن، رشدي علي، شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني،ص ١٢٥.

فبدت قطراته كأنها حبات لؤلؤ على تلك الزهور، سواء ما كان منها متفتحا أم غير متفتح، فزاد جمالها جمالا حين جعل عليها الطل فيقول:[1] (الرجز)

بروضة عذراء غير عانسه

جادت لها كل سماء راجسه

كأنما الألسن عنها لاحسه

فيها شموس للبهار وارسه[2]

كأنها جماجم الشمامسه

تروقك النورة منها الناكسه

بعين يقظى وبجيد ناعسه

لؤلؤة الطل عليها فارسه

- البرق والرعد:

وصف ابن الرومي البرق والرعد في أكثر من موضع، عند حديثه عن السحاب والمطر، وارتبط ذكرهما عنده بالتبشير بالأمطار وكشف ظلمات الليل، فالرعد قرين البرق، وهو مقدمة الغيث، وعلامة من علاماته، ودليل من أقوى دلائله، وهو الذي يستنزل المطر، فإذا كان صوت الرعد ضعيفا؛ فذلك دليل على بعد المطر، وإذا كان صوته أشد كان دليلا على قربه.

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص ١١٧٦.

[2] الوارسة: الصفراء، ينظر:ابن منظور، لسان العرب، مادة ورس.

وكما تناول ابن الرومي المطر بصورتين مختلفتين تماما، تناول البرق والرعد أيضا، فمرة صور البرق كالحا شديد العبوس، والرعد كأنه بكاء وعويل، في قوله:[1] (السريع)

وظل فيه برقه كالحا ورعده يعول في مندب

ومرة صور البرق كوجه ضاحك:[2] (السريع)

وكم رأينا برقه ضاحكا فيها إلى ذي مضحك أشنب

وصور الرعد كصوت مغن مطرب[3]: (السريع)

وكم سمعنا رعده ناعرا من طرب فيها على مطرب

ففي الأولى: البرق: ضعيف وغير واضح، والرعد: في حالة بكاء وعويل كأنه في مندب. بينما الثانية: البرق: فيه وضوح. كأنه أسنان جميلة لإنسان يضحك، والرعد: يصوت طربا وفرحا. وهذه الصور اجتمعت في قصيدة واحدة[4].

ووظف ابن الرومي صورة البرق وكيف أنه يحول العتمة إلى نور، فيضيء الوجوه، لغاية المديح، وفي ذلك قوله[5]: (الخفيف)

بشر البرق بالحيا وسنا الصبـ ـح بأن يقلب الدجى أضواء

وإذا ما مخابر الناس غابت عنك فاستشهد الوجوه الوضاء

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص ٢٩٣.

[2] المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٣.

[3] المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٣.

[4] عزب، منال محمد، الوصف في شعر ابن الرومي، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، ص٦٧.

[5] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص ٨٠.

وكانت العرب تشيم البرق فإذا أومض مثنى مثنى لا يشكون في الغيث، ويشدون الرحال للنجعة وتتبع مساقط القطر ومواقع الكلأ ، وقد استعار ابن الرومي هذه الصورة في الغزل؛ فابتسامة الحبيب ولمعان ثناياه تشبهان البرق في لمعانه:[1] (المنسرح)

ومضحك واضح به شنب يعرف من شام[2] برقه مطره

ينعت لألاؤه عذوبته وليس يخفي نسيمه خصره

والبرق يعيد في التماعه إلى ذهن الشاعر عهد الشباب، فيتحسر على ذهابه ويتمنى لو أنه يعود، لكن هيهات:[3] (الوافر)

يذكرني الشباب وميض برق وسجع حمامة، وحنين ناب

فيا أسفا، ويا جزعا عليه ويا حزنا إلى يوم الحساب!

وهي صورة تمثل معنى الحنين والفراق معا، فصورة البرق بما تشتمل عليه من سرعة وزوال ترمز إلى شباب الشاعر الذي انتهى سريعا، في حين يرمز سجع الحمام وحنين الناقة إلى أساه ووجعه، وينقل لنا هذا الشعور بصيغة الندبة بألفاتها التي ينفتح بها الفم صارخا معولا[4].

وفي هجائه لـ"دبس" المؤذن، شبه ابن الرومي صوته بصوت الرعد الذي يعظم ويختلط:[5] (مجزوء الكامل)

---

[1] المصدر السابق، ج٣، ص ٩٣٧.

[2] شام السحاب والبرق: نظر إليه يتحقق أين يكون مطره، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة برق شيم.

[3] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص ٢٥٨.

[4] ابن الرومي: قراءة نقدية في شعره، ص٢٦٨.

[5] ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص١١٩٤.

وكأن صوتك حين تصـ ـدح صوت رعد يرجس

- قوس الغمام "قوس قزح":

ارتبط مشهد قوس الغمام بالسحب والأمطار ؛ حيث يزين السماء بألوانه المتعددة ، وفيه يقول ابن الرومي:[1] (الطويل)

وقد نـشرت أيدي الجنوب مطارفا على الجود دكنا وهي خضـر على الأرض

يطرزها قوس السحاب بحمرة على أخضـر في أصفر وسط مبيض

كأذيال خود أقبلت في غلائل مصبغة، والبعض أقصـر من بعض

" الجو مغمور بالغيوم السوداء، المترامية أطرافها إلى الأرض، نفذت خلالها أشعة قوس السحاب المختلفة الألوان، فتوشحت بالأخضر والأصفر، فالأحمر والأبيض وغيرها، فكأن الأفق القاتم غلالة امرأة كثيرة الأصباغ، بعضها أقصر من بعض"[2].

ثانياً: وصف الصحراء والبر:

اقتصر ابن الرومي في وصف الصحراء على أبيات متفرقة جاءت في سياق موضوعات مختلفة، كان أبرزها المديح، ولم يقصد ابن الرومي من وصفه للصحراء أن تكون موضوعا مستقلا بذاته، إنما أرادها تكملة لسياق القصيدة المدحية في أغلب الأحيان، سائرا على خطى الشعراء القدماء، من وقوف على الأطلال، إلى وصف الراحلة والصحراء، تمهيدا لوصولهم إلى غرض القصيدة الذي غالبا ما يكون مديحا.

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٤، ص١٤١٩.

[2] حسن، رشدي علي، شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني،ص ١٢٣.

والصحراء لمن يرتادها، تحتاج الكثير من الشجاعة والجرأة والمعرفة الكاملة بطرقها ومفاوزها، وقد أسبغ عليها شاعرنا، كما فعل الشعراء من قبله، صفات الاتساع والجفاف والخلاء ووحشة الليل، فلا أنيس فيها إلا أصوات وحوشها وطيورها، يقول:[1] (الطويل)

خلاء قواء خير مرعى مطية ومورِدها فيه النجاء الغشمشم[2]

ينوح به بوم وتعزف جنة فيعوي لها سيد ويضبح[3] سمسم

أي أنه لا يستطيع اجتياز فلواتها في الصيف إلا من تجهز لذلك، وكان عنده صبر وجلد كبيران.

ومن الصور البديعة التي ابتكرها ابن الرومي في القصيدة ذاتها، ليصف فيها الصحراء وعناصرها، تشبيهه لصوتي الذئب والثعلب، بأصوات عرس ومأتم متداخلين متمازجين، فتارة توحي بأنس وحبور في مدلهم الليل وحشته، وتارة بألم وأنين، يقول:[4] (الطويل)

يخال بها من رن هذي وهذه إذا اختلف الصوتان عرس ومأتم

أما باقي الصور، فقد جاءت مكررة، فوصفه للصحراء القاحلة التي لا زرع فيها، والمستوية لا انعراج فيها، تسير فيها الإبل مسرعة لاستوائها، بقوله:[5] (الطويل)

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٥، ص ٢٠٩٧.

[2] الغشمشم: الجريئ الماضي. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة غشم.

[3] الضبح هنا -وفق السياق- صوت الثعلب لأن سمسم من معانيها الثعلب، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ضبح.

[4] ابن الرومي، الديوان، ج ٥، ٢٠٩٧.

[5] المصدر السابق، ج٥، ٢٠٩٦.

على ظهر مرت ليس فيه معرج ولكن مخب للركاب ومسعم[1]

ويصف ابن الرومي الهاجرة في الصحراء، فكأن الحر من شدته يحيط بالوجه كاللثام، ويولد السراب تلو السراب في صحراء واسعة لا يحدها بصر، ولا تبدو فيها الاتجاهات واضحة، والرياح الحارقة لسخونتها كأنها تلطم الوجه بقوة:[2] (الطويل)

وهاجرة بيضاء يعدي بياضها سوادا كأن الوجه منه محمم

أظل إذا كافحتها وكأنني بوهاجها دون اللثام ملثم

بديمومة لا ظل في صحصحانها[3] ولا ماء لكن قورها[4] الدهر عوم

ترى الآل[5] فيها يلطم الآل مائحا وبارحها[6] المسموم للوجه ألطم

---

[1] مكان مرت: قفر لا نبات فيه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة مرت. والخب والسعم: ضروب من سير الإبل، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة خبب.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٥، ٢٠٩٧.

[3] الصحصحان: ما استوى من الأرض وجرد. ليس بها شيء، ولا شجر، ولا قرار للماء، ابن منظور، لسان العرب، مادة صحصح.

[4] قورت الدار: وسعت، وقوره واقتاره: قطعه مدورا. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٩، مادة خطب، ص٢٦٢.

[5] الآل: السراب، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة آل.

[6] البارح: الريح الحارة في الصيف والتي تحمل التراب في شدة الهبوات. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة برح.

ثالثاً: وصف البحر:

لم يخصص ابن الرومي قصيدة كاملة لوصف البحر، إنما ذكره في ثنايا قصيدة مديح، اعتذر فيها لعجزه عن خوض غماره كي يصل لممدوحه، عارضا كل الأهوال التي يخشى أن يواجهها، لاسيما بعد ما جرب مرة أو مرتين خوض غماره ولم يفلح في نزع الخوف من نفسه، شأنه في ذلك شأن البر الذي يخشى شاعرنا السفر فيه، لقد شابت ذوائب الشاعر من هول ما لاقاه من مغامرات في رحلته البحرية، فيقول:[1] (الطويل)

لقيت من البر التباريح[2] بعدما لقيت من البحر ابيضاض الذوائب[3]

لقد تواطأ البر والبحر على شاعرنا في تحالف، فواصلا التنكيل به وحرماه من رؤية ممدوحه.

وأمواج البحر التي يتسابق الشعراء للتغني بها وتصوير جمالها وروعتها وحركتها المتناسقة لا تمثل للشاعر ـ وقد التمعت تحت أشعة الشمس ـ إلا جنودا يحملون سيوفا قاتلة يلوحون بها مهددين بإيذائه، فيقول:[4] (الطويل)

وأما بلاء البحر عندي فإنه طواني على روع مع الروح واقب

أظل، إذا هزته ريح ولألأت ج له الشمس أمواجا طوال الغوارب ج

كأني أرى فيهن فرسان بهمة ج يليحون نحوي بالسيوف القواضب ج

يذكرنا هذا الوصف لخوف شاعرنا من الماء، والتوهم بوجود أعداء يظهرون خلال الأمواج يقصدون قتله، بـ(دون كيشوت) الذي تخيل طواحين الهواء وقد

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص ٢١٤.

[2] تباريح: مشقة الحياة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة برح.

[3] الذوائب:جمع ذؤابة، وهي الشعر المضفور من شعر الرأس. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ذأب.

[4] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص ٢١٦.

تحولت فرسانا يهجمون عليه بالرماح.

إن التمادي في الخوف من البحر ترسخ في نفس ابن الرومي، فتارة بتناوله بجدية وتارة أخرى بتندر، جعله يعتقد أنه قد يغرق في كوب ماء صغير إن مر قربه:[1] (الطويل)

ولم لا ولو ألقيت فيه وصخرة لوافيت منه القعر أول راسب

فأيسر إشفاقي من الماء أنني أمر به في الكوز مر المجانب

- الأنهار والغدران:

رغم غنى البيئة في العصر العباسي بالأنهار والغدران والجداول إلا أن وصف معظم الشعراء لها لم يكن بالمستوى المطلوب، وتركز على وصف الرحلات النهرية والسفن المستخدمة في هذه الرحلات.

واستأثر الجانب الحسي باهتمام ابن الرومي في وصفه لهذه العناصر، وأجاد وصفها معتمدا على خياله في خلق تشبيهات وصور مبتكرة وبديعة، ففي وصفه لغدير ماء:[2] (الخفيف)

وغدير رقت حواشيه حتى بان في قعره الذي كان ساخا

فكأن الحمام إذ وردته من صفا مائه، تزق فراخا

فالشاعر يتخيل الحمام وهو يشرب وقد انعكست صورته على صفحة الماء الساكن فبدا كأنه يطعم صغاره، في صورة بديعة جدا، تظهر صفاء الماء وتعكس دقة الملاحظة عند شاعرنا ومهارته في الوصف.

---

[1] ابن الرومي، الديوان ، ج١، ص ٢١٦.

[2] المصدر السابق، ج٢، ص ٥٨٣.

وفي صورة أخرى لرقة الماء وصفاء صفحته، يتخيل الشاعر وكأن نسيم الصبا وقد مر فوقه قد منحه عبقا وعطرا، وأجلى سطحه من كل شائبة، فيقول :[1] (الطويل)

وماء جلت عن حر صفحته القذى من الريح معطار الأصائل والبكر

به عبق مما تسحب فوقه نسيم الصبا تجري على النور والزهر

وفي صورة زاخرة بالتناقضات، متنوعة الألوان، تنم عن شاعر فذ لا يتكرر، يمتلك بين يديه مهارات الوصف، يصف ابن الرومي جدول ماء ينساب بين صفين من الأشجار، فيشبهه تارة بالسيف وتارة بالحية المذعورة، وتارة بالصحيفة المنشورة:[2] (الرجز)

ثم جلسنا مجلس المحبور

على حفافي جدول مسجور

أبيض مثل المهرق[3] المنشور

أو مثل متن المنصل المشهور

ينساب مثل الحية المذعور

---

[1] ابن الرومي، الديوان ، ج٣، ص٩٧٢.

[2] المصدر السابق، ج٣، ص ٩٨٩.

[3] المهرق: الصحيفة البيضاء يكتب فيها، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة مهرق.

تناول ابن الرومي في وصفه كل مظاهر الطبيعة السماوية واستخدم في ذلك صورا سبقه إليها الشعراء، وابتدع صورا جديدة كان سباقا بها وأخذها عنه اللاحقون، وامتلك ابن الرومي ملكة فريدة في التقاط التفاصيل الدقيقة في الطبيعة فكانت عينه أشبه بعدسة الكاميرا الحديثة التي لا تغفل أي تفصيل مهما صغر.

غير أن موقف ابن الرومي من الطبيعة السماوية كان يميل إلى الجانب السلبي، خاصة حين تترافق هذه المظاهر مع ما يعكر صفو أجوائه، وهو موقف ينسجم مع مزاجه المنقبض، ويتجلى ذلك أكثر ما يتجلى في بغضه للغيث الغزير الذي يراه عائقا يمنعه من الوصول إلى ممدوحه، وكرهه لريح الجنوب، التي يراها تحمل معها كل المظاهر السيئة، كما كان ابن الرومي يخاف من البحر خوفا شديدا، حتى ليبغض ركوبه، كما يبغض الأسفار جميعا.

رابعاً: وصف الطبيعة الصناعية:

يميل الإنسان نحو تحقيق الراحة والسعادة لنفسه، من خلال تسخير جميع ما في الطبيعة حوله لخدمته؛ لذا يحاول دائما الاستفادة من معطيات البيئة المحيطة به في صناعة أسباب هذه السعادة.

ومع ازدهار الدولة العربية في العصر العباسي وتوسعها نتيجة الفتوحات، وبعد أن استقر الحال التفت الناس إلى بناء المنازل والقصور والحمامات والمساجد والمدارس ، وأوجدوا أماكن للهو والمتعة واهتموا بالمنتزهات والحدائق وصمموا النواعير والفوارات، وغير ذلك من مظاهر الحضارة الإنسانية، أو ما يطلق عليه الطبيعة الصناعية.

وقف الشعراء أمام مظاهر الحضارة متأملين فأعجبوا بها، ونالت نصيبها من نظمهم، فأظهروها في لوحات فنية تتفجر بالصور الناطقة التي توحي بما

يخفيه الشاعر من أحاسيس ومشاعر تجاه ما يشاهده ويبصره[1]، وابن الرومي واحد ممن فتنتهم هذه المظاهر، فأبدعوا في وصفها، وسنحاول في هذا المبحث عرض بعض مظاهر الطبيعة الصناعية التي جادت قريحة شاعرنا في وصفها، وسنخصص في نهايته مساحة لرثاء المدن، خاصة رثاء البصرة، وقد كتب ابن الرومي في ذلك قصيدة وثقت ما آلت إليه المدينة من خراب.

- القصور والأبنية:

لم يترك ابن الرومي موضوعا من الموضوعات إلا وتناوله، أو دربا من دروب الوصف إلا واتبعه،" فوصف عناصر الطبيعة ومظاهرها من رياض ونبات، وحيوان وأطعمة وفواكه ومشروبات، ومظاهر الطبيعة المختلفة، كما برع في وصف مظاهر الحياة العباسية من دور وقيان ومجالس غناء وخمر، إلا أنه قد قصر في وصف القصور والبرك، إذ لم يمدح أصحاب البلاطات ولم يعش في كنفهم"[2]، ومناسب هنا أن نستعيد صرخته في وجه من عايره بتفوق ابن المعتز عليه في الصورة الشعرية التي استعملها لوصف القمر: "واغوثاه! لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، ذاك إنما يصف ماعون بيته، لأنه ابن الخلفاء وأنا مشغول بالتصرف في الشعر وطلب الرزق به، أمدح هذا مرة، وأهجو هذا كرة، وأعاتب هذا تارة وأستعطف هذا طورا"[3].

وابن الرومي لم يتردد إلا لفترات قصيرة جدا على قصور الخلفاء والوزراء، بما لا يكفي أن تؤثر فيه التأثير الذي يجعله يمعن في وصفها ويعطيها أهمية أكبر، على عكس البحتري الذي أبدع في وصف قصور المتوكل.

ولم يهتم كذلك بوصف الأبنية من مساجد ومستشفيات ودور شرطة، وحتى الحانات التي تردد عليها كثيرا لم يولها الكثير من اهتمامه في الوصف.

---

[1] النجادي، موسى، وصف الطبيعة في شعر العصر المملوكي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخليل: فلسطين، ٢٠٠٦، ص١٥٠.

[2] أبو زيد، سامي، ابن الرومي؛ قراءة نقدية في شعره، ص١٩١.

[3] النجوم الزاهرة، ج٣، ص ٩٦.

اقتصر وصف ابن الرومي للقصور على ذكرها ضمن بعض قصائد المديح، فوصف شكلها الخارجي وما يحيط بها من رياض:[1] (مجزوء الكامل)

جمع الشباب ولهونا فيه الخورنق والسدير

مبدى المناذرة الذي فيه الفواكه لا البرير[2]

كم جنة فيه، وكم نهر لجريته خرير

من كل دانية الجنى للطير فيها قرقرير[3]

يشتقها طامي الجما م على جوانبه الغمير

يضحي إذا جرت الصبا وكأن ضاحيه حصير

ها إن ذاك لمنزل من كل صالحة عمير

شجر ونخل لا يطيـ ر غراب أيكهما مطير

ومتى نشاء بدت لنا أم الفرير أو الفرير[4]

نلاحظ أن الشاعر ركز على ما يحيط بالقصر من شجر ونخيل وحيوانات وجداول ماء، ولم يهتم بوصف القصر ذاته.

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص ٨٩٨.

[2] البرير: ثمر الأراك عامة، والمرد غضه، والكباث نضيجه؛ وقيل: البرير أول ما يظهر من ثمر الأراك وهو حلو. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة برر.

[3] قرقرت الدجاجة أو الحمامة: رددت صوتها كصوت الزجاجة إذا صب فيها الماء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة قرر .

[4] الفرير: ولد البقرة الوحشية يقال له فرار وفرير. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة فرر.

وفي قصيدة أخرى يعزو الشاعر سبب بقاء القصر ومتانته إلى بنائه بالحجر والآجر مدعما بالحديد، فاقتصر الوصف على الهيكل الخارجي ولم يدخل في تفاصيل القصر من الداخل:[1] (المنسرح)

أيد بالساج والحديد ولم يوهن بآجرة ولا مدره

بناء حزم أبى لصاحبه في كل أمر ركوبه غرره

لايعرف الوهي والسقوط ولا يخذل ألواح ساجه دسره

وخير بيت بنيت مشتبه وفق ترى مثل سقفه جدره

أسمر ما شاب لونه برص ال جص ولا مس جلده وضره

هندسه رأيك المبرز في ال فضل وأعطته حقه النجره

وعل من بعد ذاك بالذهب ال أحمر فاختال لابسا شهره

لقد أحسن بناء هذا القصر بالمرمر، وطلي أعلاه بالذهب الأحمر فكان تحفة فنية، استحقت من ابن الرومي أن يصفها، وإن كان هذا القصر قد بني بالآجر فكان أسمر لا برص يشوبه، فإنه في قصيدة أخرى يغشى الأبصار من شدة لمعانه، فكأن حجارته من نور، فيقول:[2] (مجزوء الرمل)

---

[1] ابن الرومي، الديوان ، ج٣، ص ٩٤٣.

[2] المصدر السابق، ج٣، ص ٩٤٦.

بنيت بالمرمر المس نون والتبر النضار

ولباب الساج لا بل بيلنجوج القماري

واكتست ثوب بياض ليله مثل النهار

فأتت زهراء تعشى بائتلاق واستعار

ذات لمع واتضاح فهي من نور ونار

قسم الإشراق منها بين سقف وجدار

وينتقل الشاعر في مقطع آخر من القصيدة ذاتها إلى وصف التماثيل التي تزين القصر، ويتوقف طويلا عند لوحة فيه، تمثل رحلة صيد، فيشبعها وصفا، كيف لا وهو الفنان في وصف الرحلات، فيتهيأ لنا ونحن نقرأ وصفه كأننا كنا في تلك الرحلة، من جمال التفاصيل التي ضمنها الشاعر في المقطع، فيقول:[٢] (مجزوء الرمل)

ذا تماثيل حسان من صغار وكبار

نشرت أسرة كسرى دستبندا في دوار

أو رماة في طراد خلف سرب أو صوار

[٢] ابن الرومي، الديوان ، ج٣، ٩٤٩.

أو رعيل من حمير ال وحش مشبوب الحضار

خلفه كل حثيث الر ركض في نقع مثار

كلهم مشلي كلاب مسلهمات ضواري

قد نحا سهما لظبي أو لثور أو حمار

ويعود الشاعر في آخر هذه القصيدة ليصف حديقة القصر، وما احتوته من أزاهير وأشجار وطيور وحيوانات، بلغة وصف يتقنها، ويجيد فيها:[1] (مجزوء الرمل)

في غصون ناعمات مثل أوصال العذاري

تتقي من يجتني منـ ـها بلين واهتصار

في بقاع دمثات[2] عطرات المستثار

تتداعى الغن فيها من قيان وقمار

---

[1] المصدر السابق، ص ٩٤٧.

[2] دمث المكان دمثا: سهل ولان، ابن منظور، لسان العرب، مادة دمث.

وتراعى الوحش فيها من ألوف ونوار

جمعت وحش المقا صير إلى وحش القفار

كم بها سربا من الـ وحش كحيلا باحورار

ذا رقاب كالمضاحي وقرون كالمداري[1]

تركز وصف ابن الرومي في هذه القصائد على إبراز شخصية الممدوح ومكانته التي تدل عليها هذه القصور، واكتفى بعرض بعض الجوانب منها، ولم يدخل في تفاصيلها، فهو لم يقصدها ليقيم فيها، ولم تتح له فرصة الزيارات المتكررة لها، بما يثير شهية الوصف عنده لتفاصيلها.

- وصف الدور:

لم يكن حظ الدور بأحسن حال من القصور، فتندر المقاطع التي يتناولها بها ابن الرومي بالوصف، ووجدنا له وصفا لـ"خان" قصده وهو في رحلته إلى ممدوحه، ففاجأه المطر وهو الذي يخاف أساسا السفر في هكذا أجواء، ما اضطره للمبيت في هذا الخان، وأي خان هذا إنه بائس موحش، وشبه مهجور، وأسوأ من الخارج، ويكاد يسقط على رؤوس قاطنيه:[2] (الطويل)

---

[1] المداري جمع مدراة والمدراة: شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة مدر.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص ٢١٥.

فملت إلى خان مرث بناؤه مميل غريق الثوب لهفان لاغب[1]

فلم ألق فيه مستراحا لمتعب ولا نزلا أيان ذاك لساغب؟[2]

فما زلت في خوف وجوع ووحشة وفي سهر يستغرق الليل واصب

يؤرقني سقف كأني تحته من الوكف تحت المدجنات الهواضب

تراه إذا ما الطين أثقل متنه تصر نواحيه صرير الجنادب

وكم خان سفر خان فانقض فوقهم كما انقض صقر الدجن فوق الأرانب

لقد بقي الشاعر ساهرا طوال الليل على الرغم من شدة تعبه، وجوعه وعطشه، خوفا من أن ينهار عليه سقف الخان ويقتله، سهرة أعطت الشاعر وقتا ليتأمل تفاصيل الخان ويصفها، وليستذكر قصصا سمعها عن حوادث انقض فيها سقف الخان على رؤوس المسافرين وقتلهم، ما عزز خوفه أكثر، كما أن الشقوق التي في السقف تسببت بأن تتجمع مياه المطر لتنزل شلالا على رأسه، ما جعله كالمستجير من الرمضاء بالنار.

---

[1] لغب: اللغوب: التعب والإعياء. ومنه قيل: فلان ساغب لاغب أي معي. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة لغب.

[2] سغب: جاع. والسغبة: الجوع، وقيل: هو الجوع مع التعب؛ وربما سمي العطش سغبا، ورجل ساغب: جوعان أو عطشان. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سغب.

- الرحلات:

تعددت الرحلات التي قام بها ابن الرومي وتنوعت بتنوع الغاية التي ساقته للقيام بها، فثمة رحلات صيد قام بها مع أصحابه، ورحلات قصد بها الممدوح لينال عطاءه، ورحلات تنزه للترويح عن النفس والتمتع مع الأصدقاء والخلان.

- رحلات الصيد "شعر الطرد":

يقوم شعر الطرد على الوصف؛ فهو "نعت للحيوان الصائد والمصيد، وما يدور بينهما من مطاردة"[1].

ومع حياة البذخ التي سادت في العصر العباسي، انتشرت رحلات الصيد، وانتشر معها شعر الوصف لهذه الرحلات، وابن الرومي لم يصاحب الخلفاء أو أصحاب السلطان، ولم يكن مزاجه يتلاءم مع هكذا أجواء، واقتصرت رحلات الصيد على عدد محدود جدا برفقة أصدقاء له، فجاء وصفه لهذه الرحلات تقليديا مع بعض الصور المبتكرة في أماكن متفرقة، تنم عن رهافة حسه تجاه التجربة ؛ لأن "تجاربه وانفعالاته كانت أعمق وأقوى من أسوار التقليد المحيطة به"[2].

وكانت الصورة التي نقلها ابن الرومي عن الرحلات دقيقة وجميلة، وله فيها ثلاث قصائد، أطولها عينية يبكي بها على شبابه الذي مضى، ويتذكر جلسات اللهو والمجون:[3] (الطويل)

بكيت فلم تترك لعينك مدمعا زمانا طوى شرخ الشباب فودعا

سقى الله أوطارا لنا ومآربا تقطع من أقرانها ما تقطعا

---

[1] الباشا، عبد الرحمن، شعر الطرد إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ط١، الإسكندرية: دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٦٨، ص٢٣.

[2] إيليا حاوي، ابن الرومي، مرجع سابق، ص٤٩.

[3] ابن الرومي، الديوان، ج٤، ص ١٤٧٣.

ثم ينتقل إلى وصف رحلة الصيد، انطلاقا من ذهابه وأصحابه باكرا:[1] (الطويل)

وقد أغتدي[2] للطير والطير هجع[3] ولو أوجست مغداي ما بتن هجعا

بخلين تما بي ثلاثة إخوة جسومهم شتى وأرواحهم معا

وقصيدته الثانية في وصف رحلة الصيد كانت في سياق مديحه لـ"صاعد بن مخلد"[4] وفيها:[5] (الطويل)

وقد أغتدي للوحش، والوحش هجد ولو نذرت بي لم تبت وهي هجد

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف تفاصيل الرحلة وكيف يعمل الصيادون رماحهم في طرائدهم، فتخر صريعة:[6] (الطويل)

فيشقى بي الثور القصي مكانه بحيث يراعيه الأصل الخفيدد

---

[1] المصدر السابق، ج٤، ص ١٤٧٤.

[2] أغتدي: من الغدو، وهو سير أول النهار نقيض الرواح. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة غدا.

[3] هجع من الهجوع: النوم ليلا . ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة هجع.

[4] صاعد بن مخلد: الوزير الكبير أبو العلاء الكاتب: أسلم، وكتب للموفق، ثم وزر للمعتمد، وله صدقات وبر، وقيام ليل، لكنه نزر الأدب، وزر سنة ست وستين، ولقب ذا الوزارتين. ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١، ج١٣، ص٣٢٧.

[5] ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص ٥٨٧.

[6] المصدر السابق، ج٢، ص ٥٨٧.

ترى كل ركاع[1] على مرتع يخر لرمحي ساجدا بل يسجد

إذا غازلته بالصريم نعاجه كما غازلت زيرا أوانس خرد[2]

أمرت به رمحا غيورا فخاضه ذليقا كما شك النقيلة مسرد

فخر لروقيه صريعا تخاله يعصفر من تاموره أو يفرصد[3]

كأن سناني حين وافاه كوكب أصيب به قطع من المزن أقهد[4]

"لقد صور ابن الرومي في قصيدة ذهابه إلى الصيد، خاصة صيد الثور الوحشي فوصف صيده صباحا بالرمح والحربة "ولكن يبدو أن تلك الأقوال تكون من وحي خياله ومحاكاته الأقدمين ولم تكن واقعية؛ لأنه كان ذا نفس يخاف من الأمكنة البعيدة والخالية"[5].

وقصيدته الثالثة كانت في سياق مدحه "عبيد الله بن عبد الله" صور فيها كيف تختلط أصوات جياد الصيادين بأصوات الثيران التي تفر خائفة منهم:[6] (الطويل)

---

[1] ركاع: من الركوع: الانحناء، ومنه ركوع الصلاة، والركعة: الهوي في الأرض. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ركع.

[2] الخرد: البكر التي لم تمسس، وقيل: هي الحيية الطويلة السكوت. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة خرد.

[3] الفرصاد شجر معروف؛ وحمله التوت، ينظر: ابن منظور، لسان العرب ، مادة فرصد.

[4] القهد: النقي اللون. والقهد: الأبيض، وخص بعضهم به البيض من أولاد الظباء والبقر .ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة قهد.

[5] كبرى روشنفكر، الطبيعة الحية في شعر ابن الرومي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد ١٣، ص ٧٦، ٢٠٠٦م.

[6] ابن الرومي، الديوان، ج٥، ص٢٠٩٤، ٢٠٩٥.

وركب قنيص قد شهدت جيادهم تحمحم في ثيران وحش تغمغم

مها كالمها إلا جبال متونها وإلا مكان الوشم أو حيث تلطم

وإلا مخط الكحل من كل مقلة وإلا قرونا تدري فتزنم[1]

يزنج[2] منها الناسبون وشيظة[3] وجمهورها في الناسبين مروم

دفعنا إليها وهي زهر كأنها خلال أنبق النور نور مجسم

فما ذر قرن الشمس حتى رأيتها تعصفرها مثعنجرات تهزم

دلفنا لها بالسمهري فطالع إلى مصرع يرتاده ومحرجم[4]

اختار ابن الرومي لقصيدته هذه بحر الطويل؛ لأنه أطول بحور الشعر من حيث إيقاعه الموسيقي، وهو الأنسب لأشعار السير والملاحم والشعر الذي يحتوي الأساطير، ومن مثل ابن الرومي في الوصف الملحمي، فها هو يرسم في هذه الأبيات لوحة فنية لرحلة الصيد والقنص التي رافق بها ممدوحه ساردا تفاصيلها الدقيقة، من أصوات الخيول التي استعملوها للذهاب في تلك الرحلة، وأصوات الثيران التي طاردوها، ثم منظر الطرائد وقد سقطت مضرجة

---

[1] المزنم: الجمل الذي تقطع أذنه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة زنم.

[2] الزناج المكافأة بخير أو شر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة زنج.

[3] الوشيظة: الدخلاء في القوم ليسوا من صميمهم. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة وشظ.

[4] حرجمت: الإبل إذا رددت بعضها على بعض ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة حرجم.

بدمائها بعد أن نالت منها رماح القناصة وسهامهم، بعد أن عملوا على تجميعها في قطعان كما تجمع الإبل فيرد بعضها إلى بعض، وكيف حاولت تلك القطعان الدفاع عن نفسها بقرونها، فما كان من رجال الصيد وفرسانه إلا أن أردوها صريعة وكأنها اصطبغت بلون الدم الشبيه بلون ثمرة التوت، قبل أن تشتد شمس الظهيرة، كناية عن خبرتهم وتمرسهم في الصيد، وشجاعتهم في قنص فرائسهم.

- رحلات الوصول للممدوح أو التنزه:

لابن الرومي بعض القصائد والمقاطع في وصف الرحلات التي قام بها، سواء تلك التي كانت للتنزه والرياضة، أم تلك التي قام بها ليصل إلى ممدوحه فينال عطاءه.

وكان سباقا في صياغة مقدمة قصيدة المديح على شكل وصف للرحلة التي قام بها، ولم يفته في وصفه أن يتناول كل ما وقعت عليه عينه من مظاهر الطبيعة الساكنة والمتحركة، على نحو وصفه لرحلته النهرية في نهر أبي الخصيب كمقدمة لبائيته، في مديح علي بن الفياض:[1] كما جاء بقوله:[2] (الوافر)

ذكرتك حين ألقت بي عصاها النـ نوى يوما بنهر أبي الخصيب[3]

وقد أرست بنا في ضفتيه الـج واري المنشآت مع المغيب

غدون بنا ورحن محملات قلوبا موقرات بالكروب

---

[1] علي بن الفياض: من أسرة بني فياض الفارسية، كانت واسعة النفوذ في عهد ابن الرومي، ينظر: جست، روفن، ابن الرومي حياته وشعره، ط٣، ترجمة حسين نصار، بيروت: دار الثقافة،١٩٧٨، ص٣١.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص ٣٢٥.

[3] نهر أبي الخصيب: نهر بالبصرة يتصل بنهر دجلة. ينظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، بيروت: دار الفكر، د.ت،ج٥، ص ٣١٥.

وبذلك "نهض بهذا التقليد، وجعله مقدمة مستقلة"[1]، فقد وصف في هذه القصيدة الأمكنة التي مرت عليها السفينة، وما حصل له من أحداث خلال الرحلة، وأشواقه التي زادت للقاء ممدوحه كلما اشتدت أهوال الرحلة، وأشواقه التي جعلته يترك مجالس الغناء في بغداد، ويرتحل طالبا لقاء من اشتاقت عينه للقائه فكادت تذرف الدمع لولا حياؤه من أصحابه الذين يرافقونه:[2] (الوافر)

تجوز بنا البحار إذا استقلت وتسلمها الشمال إلى الجنوب

وبين ضلوعها أبناء شوق نأت بهم عن البلد الرحيب

نأت بهم عن اللذات قسرا ووصل الغانيات إلى الحروب

إلى دار أبت فيها المنايا رجوعا للمحب إلى الحبيب

فقلت ومقلتاي حياء صحبي تذودان الجفون عن الغروب

لعل الفرد ذا الملكوت يوما سيقضـي أوبة الفرد الغريب

واللافت في رحلات ابن الرومي التفاوت في مستوى الصور والأفكار التي تتضمنها قصيدة الوصف لتلك الرحلة، ففي قصيدته التي وصف فيها رحلته مع أبناء المنصور، أفرغ كل طاقته الوصفية ليصف العنب الرازقي كأجمل ما يكون الوصف بمستوى مختلف عن باقي مقاطع القصيدة التي كان الوصف فيها عاديا والصور تقريرية لا خيال فيها، فيبدأ قصيدته بوصف خروجهم

---

[1] عطوان، حسين، مقدمة القصيدة في العصر العباسي الثاني، ط١، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٢، ص٢٠٥

[2] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص ٣٢٦.

الباكر، والطير لم تزل في أعشاشها، ليصف الناطور حين استقباله لهم باللبن وقد رشح إناؤه وتحدر الطل عليه من شدة برودته:[1] (الرجز)

باكرته والطير في الوكور

وعذر اللذات بالبكور

بفتية من ولد المنصور

أملأ للعين من البدور

حتى أتينا خيمة الناطور

قبل ارتفاع الشمس للذرور[2]

حتى أتانا بضروع خور[3]

مملوءة من عسل مخصور

والطل مثل اللؤلؤ المنثور

من ناقع فيها ومن محدور[4]

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف العنب كأبدع ما تكون الصور، بلسان عاشق يعشق عنبه ويحتفل به، وهو لا يأكله بإحدى حواسه بل "بوجوده كله، بأثمن ما فيه؛

---

[1] ابن الرومي، الديوان ، ج٣، ص٩٨٨، ٩٨٩.

[2] الذرور: أول طلوع الشمس وشروقها، أول ما يسقط ضوؤها على الأرض والشجر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ذرا.

[3] الخوارة: الغزيرة اللبن السهلة الدر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة خور.

[4] الحدور: اسم مقدار الماء في انحدار صببه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة حدر.

الحياة "[1]، بقوله:[2] (الرجز)

ورازقي مخطف الخصور

كأنه مخازن البلور

ألين في المس من الحرير

وريحه كماء ورد جوري

لو أنه يبقى على الدهور

قرط آذان الحسان الحور

له مذاق العسل المشور[3]

ونكهة المسك مع الكافور

ورقة الماء على الصدور

وبرد مس الخصر المقرور[4]

وفي وسط كل تلك المباهج، لا ينسى ابن الرومي مخاوفه وأوهامه، فتتراءى له فاجعة الحياة ومأساتها، فيتصور أن النعيم الذي هو فيه، تعلل عن نهاية مؤلمة

---

[1] شلق، علي، ابن الرومي في الصورة والوجود، ط١، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٢، ص٨٠.

[2] ابن الرومي،الديوان، ج٣، ص ٩٨٧، ٩٨٨.

[3] شار العسل استخرجه من الوقبة واجتناه، مختار الصحاح، ص١٤٧.

[4] مقرور: بارد. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة قرر.

لا بد تصيبه، وأن تلك النشوة تحمل في طياتها بذور الشقاء، فيختم قصيدته بفاجعية[1]، فيقول:[2] (الرجز)

فنيلت الأوطار في سرور

وكل ما نقضـي من أمور

تعلة عن يومنا المنظور

ومتعة من متع الغرور

- وصف السفينة:

يظهر التنازع بين القديم والجديد في وصف شعراء العصر العباسي للبحر والسفن، فقد استلهم الشعراء في هذا الوصف بيئة الصحراء وتشبيهاتها والناقة وأوصافها، والأعجاز، فيقول:[3] (الوافر)

دخلنا من بنات البحر جونا تهادى بين شبان وشيب

نواج في البطائح ملقيات حيازمها[4] على الهول المهيب

مزممة الأواخر سائرات على أصلابها شبه الدبيب

تكاد إذا الرياح تعاورتها تفوت وفودها عند الهبوب

---

[1] الوصف في شعر ابن الرومي، ص٢٠٧، وابن الرومي قراءة نقدية في شعره، ص٢١٧.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص ٩٨٩.

[3] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص ٣٢٦.

[4] الحيزوم: وسط الصدر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة حزم.

مسخرة تجوب دجى الليالي بمثل الليل كالفرس الذنوب

أبت أعجازها بمقدمات لها إلا مطاوعة الجنوب

غنين عن القوادم والهوادي وعن إسراجهن لدى الركوب

يصف الشاعر السفينة بالجرة المطلية بالقار ، تتهادى على سطح الماء كما تتهادى الناقة السريعة في الصحراء، وتتمايل مقدمتها وسط الأهوال، مربوطة بحبال في مؤخرتها مثل الزمام الذي تربط به الإبل، تتقاذفها رياح متعددة الاتجاهات كل مرة من صوب، فتكاد تصل قبل أوانها، وهي لا تسير في النهار فقط، بل حتى في الليل تراها كالفرس الطويلة تسابق الريح، حتى تكاد أعجازها تصل مقدمتها من شدة سرعتها، مدفوعة برياح الجنوب القوية، لا تحتاج إلى سرج لتركبها، ولا تحتاج إلى ريش لتطير كطائر عملاق.

وفي قصيدة أخرى مدح فيها أبا سهل النوبختي[1] يصف ابن الرومي السفينة التي ركبها قاصدا ممدوحه أيضا:[2] (الطويل)

إليك ركبنا بطن جوفاء جونة تخايل في درع من القار فاحم

نواهق أشباها لا ونظائرا ملمعة بالودع سفع[3] الملاطم

---

[1] أبو سهل إسماعيل بن علي بن نوبخت: بغدادي من غلاة الشيعة، وكبار مصنفيهم، له كتب: " الإمامة"، "الرد على الغلاة"، "نقض رسالة الشافعي"، "الرد على أصحاب الصفات"، "إبطال القياس"، "الحكاية والمحكي". ينظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١٩، ص٣٢٩.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٦، ص ٢٢٧٦.

[3] السفعة والسفع: السواد والشحوب. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سفع.

إذا هي قيست بالنسور تشابهت بأجنحة خفاقة وخراطم

تطير على أقفائها وظهورها بمصطخب التيار جم الزمازم

إذا أعجلت لم يسترث طيرانها وإن أمهلت زفت زفيف النعائم

وقد أيقنت أن سوف تقطع زاخرا إلى زاخر بالغارقات التوائم

هو البحر لا ينفك في جنباته رغاء المطايا لا نئيم[1] العلاجم[2]

إنها سفينة كبيرة الحجم، طليت بالقار الأسود، تسير على مهل متبخترة، متفوقة على أقرانها من السفن الأخرى، وهي "تشبه النسر، فشراعها كجناحيه، ومقدمتها كمنقاره، يتقلب في السماء فيطير على ظهره أحيانا، تجري مسرعة تميل أحيانا وتعتدل أحيانا أخرى في نهر غزير المياه مزمجر التيار مختلط الأصوات، إن أسرعت تكاد تطير، وإن تمهلت تهادت في مشيتها كالنعامة، وهي في جميع الأحوال متيقنة بأنها سوف تقطع نهرا زاخرا بالخيرات والكنوز إلى من هو مثله غنى وجودا، لكن جنبات هذا النهر "الذي يسميه الشاعر بحرا ربما لغزارة مياهه واتساعه" تعج بنقيق الضفادع "نئيم العلاجم"، بينما جنبات البحر الآخر "ممدوحه" تعج بالمطايا التي يمتطيها قاصدو بره ونواله"[3].

- وصف الناعورة:

الناعورة "آلة مائية تستخدم لسقاية الرياض والحقول، فتعمل على رفع المياه من الأنهار إلى مستوى الأراضي الزراعية، وهي عبارة عن عجلة خشبية

---

[1] النئيم: صوت فيه ضعف كالأنين. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة نأم.

[2] العلجوم: الضفدع. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة علجم.

[3] الأسود،عبد القادر، البحر في الأدب العربي، شبكة الفصيح، ٢٠١٠/٩/٢٣م، http://www.alfaseeh.net

كبيرة مجهزة بزعانف ويركب عليها مجموعة من الدلاء تسمى(فروغ، أو كيزان، أو قواديس)، بحيث تكون مربوطة بشكل منظم على طول دائرته، وعادة تركب النواعير على الأنهار أو الجداول الدائمة الجريان"[1].

ولأن موقع الناعورة دائما على الأنهار حيث الخضرة الجميلة فقد أثار وجودها شهية شعراء الوصف، خاصة بصوتها الشجي الذي يشبه الأنات والأشجان، فسكبوا في وصفها أعذب الكلمات وأجملها، ولم يبتعد شاعرنا ابن الرومي عن ذلك، فتناولها تناولا مختلفا عن بعض أقرانه، إذ استعمل في وصفها صورا مبتكرة، ووظف لها ألفاظا ذات مظهر حضاري مثل [السمارية، البربط، القينة، اللحن، الزامر، الفلك الدائر]، فيشبه الناعورة قرب السمارية (سفينة) بالبرط (العود) تارة، وبالقينة (المغنية) تارة أخرى، وكيزانها (جمع كوز) أنجم دائرة في فلك دائر، ويشتق ابن الرومي من لفظة الناعورة صوتا لها، فهي تنعر بالماء إذا أخرجت صوتا، فيقول:[2] (السريع)

تغرق بالكيزان ناعورة حنينها كالبربط الناعر

فتارة تحسبها قينة تردد اللحن على الزامر

كأنما كيزانها أنجم دائرة في فلك دائر

إن ذهول ابن الرومي بدوران الناعورة ذهول الفيلسوف المتواضع، يرى فيها دوران الأفلاك، دوران الحياة الزاحفة نحو خط النهاية.

---

[1] بنات، محمد يوسف، الدواليب والنواعير في شعر المشارقة والأندلسيين؛ دراسة مقارنة، مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة العلوم الإسلامية، عمان، المجلد الرابع العدد (١)، آذار٢٠١٧م، ص٣.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٣، ١١٥٠.

ووجدنا في ديوان ابن الرومي بيتين مستقلين في وصف الناعورة، قائمين على التشبيه للتدليل على قدرته البيانية:[1] (السريع)

وناعورة شبهتها حين ألبست من الشمس ثوبا فوق أثوابها الخضر

بطاووس بستان يدور وينجلي وينفض عن أرياشه بلل القطر

صور ابن الرومي الناعورة بصورة بديعة حين شبهها وقد انعكست الشمس عنها، بالطاووس الذي نفض ريشه بعد بلل، بما يشبه سكب الدلاء المثبتة عليها للماء.

- الأحجار الكريمة والمجوهرات والذهب:

ومن التشبيهات الحضارية أن الشعراء قد موهوا الصور التي رسموها لشعر الطبيعة ومناظرها، بالذهب، ورصعوها بالدرر واللآلئ، وجملوها بالزخارف الملونة، يشبه ابن الرومي باقة نرجس بالذهب والفضة:[2] (مجزوء الكامل)

أبصرت باقة نرجس في كف من أهواه غضة

فكأنها قصب الزمـ رد أنبتت ذهبا وفضة

وتخيل الجلنار مباخر تبر تبعث الروائح الجميلة:[3] (الطويل)

وفي الروض أمسى الجلنار كأنه مباخر تبر عودها طيب النشر

---

[1] المصدر السابق، ج٣، ص ١١٥٠.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٤، ص ١٤٢٠.

[3] المصدر السابق، ج٣، ص ١١٥١.

وفي وصفه لساقية وهي تحمل إناء الخمر وتزينت بالحلي والأحجار الكريمة يستخدم الشاعر التشبيه ؛ إذ يشبه تلك الزينة بما يناسب ألوانها وأشكالها من الفاكهة والخمر:[1] (الخفيف)

حصـرم من زبرجد بين نبع من يواقيت جمرها غير خاب

فوق لبات غادة تترك الخا لي من كل صبوة وهو صاب

ما اكتست شيبة سوى نظمها الدر ر على رأسها البهيم[2] الغرابي

لون ناجودها[3] إذا هي قامت لون ياقوتها المضـيء الثقاب

نلاحظ أن الشاعر استعمل ثلاثة أسماء للحجارة الكريمة في مقطع واحد هي الدر والزبرجد والياقوت، وأظهر من خلال النص أن الجارية حين نهضت من قعدتها لتسقي من جرار خمرها الحاضرين، بان في جيدها عقد فيه حبات من زبرجد كأنها حبات حصرم لم تنضج بعد، وعلى رأسها طوق من در يزدان به، فكأنه خطوط شيب من لمعانه فوقه.

---

[1] المصدر السابق، ج١، ص ٢٨٣.

[2] البهيم :الأسود، ويقال: ما كان لونا واحدا لا يخالطه غيره. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة بهم.

[3] الناجود: الخمر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة نجد.

الفصل الثالث
الجوانب الفنية في شعر الطبيعة عند ابن الرومي

تميز الشعر في العصر العباسي بتأثره الكبير في الطبيعة الحضارية التي اكتسى بها ذلك العصر، فانعكس ذلك على أدبهم بعامة، وقد بدا ذلك واضحا في أشعارهم من حيث وصف الطبيعة الحضارية وانعكاسها في أشعارهم عبر اللغة الشعرية وصورها فالشاعر ابن بيئته ينهل منها.

ومن يطالع لغة شعراء العصر الجاهلي في وصفهم للطبيعة يدرك الفرق الحضاري بين العصرين من حيث الفرق الواسع بين البداوة والحضارة ، ضمن وعورة اللغة إلى سهولتها، ومن وصف الناقة، والبعير، والفيافي، إلى وصف الورود والرياض، وحيث إن الشعر نوعان رئيسان: "وجداني وموضوعي، فالوجداني يدور على نفس الشاعر - على تأثره من أمر، وإظهار ذلك بالكلام المنظوم، أما الموضوعي فيدور على شيء خارج عن نفسه - على صفات يتخيلها أو يراها فيما حوله من ظواهر الطبيعة"().

وقد ظهر ذلك في الشعر الوجداني حيث تصبح الطبيعة محاورا للشاعر يبثها أشجانه وأشواقه وتتكثف في نصوصه فنون التأنق والبيان والبديع ، كما أشار بعض الباحثين إلى ذلك في حديثهم عن شعر ابن الرومي بخاصة والشعر في العصر العباسي بعامة، "وقد ظهر التجديد الفني في العصر العباسي في صناعة الشعر، في الوجداني منه بصورة خاصة، وتجلى في مظاهر عدة، منها: رقة العبارة المستعملة، وكثرة البديع اللفظي، والتفنن في المعاني، والتوسع في المصطلحات اللفظية"().

وجاء في عدة مباحث منها: اللغة الشعرية في شعر الطبيعة عند ابن الرومي، حيث تناولت مبحث حسن التعليل، والتلطف والتناص، والتضمين، والاقتباس، وتناولت الأسلوب من حيث النداء، والاستفهام، والتعجب، والنهي، والأمر، والاستعارة، والكناية لما بهذه المباحث من أثر كبير في الكشف عن ماهية شعر الطبيعة عند ابن الرومي.

() المقدسي، أنيس، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ط١٧، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٩م، ص٨٦.

() المرجع نفسه، ص٨٧.

وسنتناول في هذا الفصل دراسة فنية لشعر الطبيعة عند ابن الرومي، من خلال دراسة اللغة الشعرية، والتناص، والأسلوب، والصور الفنية.

أولا: اللغة الشعرية:

تعد اللغة إحدى الأدوات الإبداعية، التي يتعاظم دورها في الشعر، حتى يمكننا اعتبار النص الشعري عمارة لغوية، "ومن أولى مميزات الشعر استثمار خصائص اللغة بوصفها مادة بنائية"[1]، "فالكلمات والعبارات في الشعر يقصد بها بعث صور إيحائية، وفي هذه الصور يعيد الشاعر إلى الكلمات قوة معانيها التصويرية الفطرية في اللغة"[2] ، يقول ابن الرومي[3]: (الوافر)

يذكرني الشباب جنان عدن على جنبات أنهار عذاب

تفيىء ظلها نفحات ريح تهز متون أغصان رطاب

إذا ماست ذوائبها تداعت بـــواكـــــي الطـــير فيـــها بانتحـــاب

وفي النص السابق يكشف الشاعر بلغة شعرية مبدعة قائمة على فنون إبداعية جمة.

"ولغة الشعر هي الوجود الشعري الذي يتحقق في اللغة انفعالا وصوتا وموسيقيا وفكرا، وتتميز عن غيرها بأنها أكثر من وعاء لحمل المعاني، وأكثر من وسيلة للتعبير عن الأفكار، فهي غاية في حد ذاتها، وليست وسيلة فقط؛ فالشاعر يبحث عن المعنى، وحيث يعثر عليه يبنيه بناء شعريا من خلال اللغة"[4].

---

[1] الورقي، السعيد، لغة الشعر العربي الحديث: مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٣، ص٧٠-٧١.

[2] الورقي، السعيد، لغة الشعر العربي الحديث: مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، ، ص٦٣.

[3] ابن الرومي، الديوان ، ج١، ص ٢٥٧-٢٥٨.

[4] الورقي، السعيد، لغة الشعر العربي الحديث: مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، ص٨.

"واللغة الشعرية مصطلح شامل ينطوي على بناء الجملة نحويا وصوتيا، ينطوي على التقنيات الفنية المتعددة من الصور الشعرية والموسيقى،ولغة الشاعر المبدع لغة ذات حياة وتنوع لا تقف عند طريقة واحدة من طرق التعبير، بل تنوع في العبارة وفي الأسلوب، واللغة المبدعة هي اللغة التي تثير فينا إحساسا بلذة المشاركة في العمل الفني من خلال الحذف والتقديم والتأخير والتلوين في العبارة والضمائر، والإيجاز والفصل بين أركان الجملة مما يثير في المتلقي متعة فنية تكمن في لذة الاكتشاف"[1].

"ولا تنحصر اللغة الشعرية بحفظ آلاف الكلمات فقط، بل يجب أن تصب هذه الكلمات في قوالب تناسب مدلولها ولفظها وجرسها،ولكل شاعر معجم شعري وتراكيب خاصة به، فهو يدور دائما في فلكه اللغوي ومعانيه الخاصة ، وهذا ما يجعلنا نميزه عن غيره من حيث اللفظ وإيقاعه الذي يلازمه ويحدد ذاتيته من خلال نصوصه؛ إذ تتجلى بها انفعالاته ورؤاه فنتعرف من خلال اللغة إلى ثقافة هذا الشاعر.

والشاعر المتميز بلغته الشعرية هو من يصطاد الموضوع ويسكبه ببراعته ودقته التصويرية، أي يفرز لغته الخاصة التي لا تعبر فقط عن الموضوع، بل تتعداه نحو البناء المتكامل باتصال متزامن دون انفصال أو تشويه[2].

"واللغة الشعرية هي البناء الذي يبني عليها الشاعر نصه، وهي السبيل الوحيد للوصول إلى ذات المتلقي، فهي بمثابة جسر بين الشاعر والمتلقي ينقل خلالها عواطفه وقلقه وتأملاته"[3]، و"ترتبط بثقافة الشاعر وبمرجعياته الفكرية، وبكل العوامل الذاتية والموضوعية التي تساهم في تجاربه الشعرية، فهي ترجمان لتصوراته وحساسياته، كما أنها صورة معبرة عن انشغالاته وهمومه الفكرية والنفسية والاجتماعية، وتأتي منسجمة مع السياق الثقافي العام، ومع الاختيارات الفنية والجمالية؛ لأن الشاعر يبقى دائما ابنا وفيا لبيئته؛ لذلك تجد

---

[1] نعمة، عبد الأمير، ابن مقبل حياته و شعره، رسالة ماجستير غير منشورة، البصرة: جامعة البصرة،١٩٨٥م، ص٢٣٨.

[2] نعمة، عبد الأمير، ابن مقبل حياته و شعره، ص٢٣٨.

[3] نعمة، عبد الأمير، ابن مقبل حياته و شعره، ص٢٣٩.

التجارب الشعرية المنتمية لسياق تاريخي أو ثقافي معين، قد انطبعت بالطابع الفني الذي تميز به ذلك السياق"[1].

و"اللغة الشعرية خصائصها التي تتميز بها عن لغة النثر، وتتمثل في أمرين أولهما: الخصائص الفنية (الوزن والقافية والتجربة الشعرية والربط الفني بين الشكل والمضمون)، وثانيهما: الخصائص التركيبية (الصرف والنحو)"[2].

و"تكتسب اللغة الشعرية في وصف الطبيعة عند ابن الرومي جوانب فنية ترقى بها إلى درجة الإبداع الحقيقي المتميز الذي يلقى القبول لدى المتلقي، وتنماز بالخروج عن نمطية اللغة، والتمرد على القيود والقواعد اللغوية والتراكيب الجاهزة، واللجوء إلى أشكال الانزياح، حيث تكتسب اللغة في قصائده حلة جديدة بما تحققه من دلالات"[3].

ويسعى ابن الرومي في لغته الشعرية في وصف الطبيعة، إلى الكشف عن معان جديدة، وتحقيق الإيحائية في الابتعاد عن الدلالات المعجمية؛ تحقيقا لامتياز اللغة الشعرية بالتداعي الوجداني؛ وتضمين معارف وجدانية فاتحة آفاقا واسعة أمام دوافع التداعي، فالإيحاء ينقل النص من صيغة التقريرية إلى أفق الشاعرية، فينفذ إلى ذات القارئ، ويفتح مجالا أرحب لاستنطاق الجوانب الخفية للإبداع، والأبعاد الجمالية للنتاج الأدبي؛ بما يحقق التجانس مع مناخ القصيدة ومضمونها، وهي إشارية تعتمد على الرمز والإيماء والإيحاء، فتكسر في الغالب النمطية.

استطاع ابن الرومي في أشعاره أن يبدع فنونا وجدانية محكمة، وأن يعكس من الأشعار الموضوعية الوجدانية التي عبر بها عن مصائبه، وصور التجديد لهذا الأسلوب القديم، الذي وقع في صياغته وأسلوبه.

---

(1) الحراق، محمد شداد، اللغة الشعرية وهوية النص، موقع ديوان العرب، الأحد ٣٠ تشرين الأول ٢٠١١، الرابط الإلكتروني: http://www.diwanalarab.com.

(2) مطوري، هدى، وجواد سعدون زاده، وعلي سبهار، بحث بعنوان: اللغة الشعرية عند محمد مهدي الجواهري، المؤتمر الدولي الخامس، دبي ، ٤-٧ مايو (أيار) ٢٠١٦م.

(3) حاجي ، أحمد ، مصطلح اللغة الشعرية : المفهوم والخصائص ، مجلة مقاليد ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، الجزائر ٢٠١٥/١٢ م.

"اللغة الشعرية عند ابن الرومي ذات مستويات تبتعد أو تقترب من "الشعرية"، وهذا ما يجعل إطلاق الأحكام على لغته صعبا، فالعلاقات اللغوية لا تتبين وظائفها، ولا تبرز شعريتها إلا في سياق القصيدة، ومع ذلك تبقى هناك سمات عامة في شعر ابن الرومي يمكن أن نقف عند بعض عناصرها"[1]:

- حسن التعليل:

"نلاحظ في وصف الطبيعة عند ابن الرومي قيما فنية معنوية أثرت النص ومنحته القدرة على التأثير في المتلقي، ومن هذه القيم حسن التعليل"[2]، وهو في معجم المصطلحات: "أن يتلمس الأديب للشيء أو للظاهرة علة أدبية طريفة تناسب الغرض الذي يرمي إليه بدلا من علته أو علتها الحقيقية"[3]، أو "هو أن يدعي لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي"[4]، بمعنى ادعاء علة غير حقيقية لحالة من الحالات أو صفة من الصفات، ولكن فيها حسن وطرافة، تكسب المعنى جمالا وشرفا.

ومن ذلك توظيف ابن الرومي وصفه لاصفرار الشمس عند ميلها للمغيب في المديح، فجعل سبب الاصفرار هو فراق وجه الممدوح، لا السبب العلمي المعروف من دوران الأرض حول محورها، فيقول: (البسيط)

أما ذكاء فلم تصفر إذ جنحت إلا لفرقة ذاك المنظر الحسن

"وقد كثرت التعليلات في شعر ابن الرومي، ومنها تعليله لمحبة الأوطان"[5]؛ إذ يربطها بالحنين إلى ملاعب الصبا، فيصف تلك الملاعب وصفا مبدعا يحملها لواعج الشوق، فيقول[6]: (الطويل)

---

[1] الصفدي، ركان، ابن الرومي الشاعر المجدد، ص ٢٢٣.

[2] أبو زيد، سامي، ابن الرومي؛ قراءة نقدية في شعره، ص٤٦٢.

[3] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، وهبة- المهندس، ص ٨٤.

[4] الخطيب القزويني، الإيضاح، ٥١٨/٢.

[5] أبو زيد، سامي، ابن الرومي؛ قراءة نقدية في شعره، ص٤٦٢.

[6] الديوان، ج٥، ص ١٨٢٦.

فقد ألفته النفس حتى كأنه لها جسد إن بان غودرت هالكا

وحبب أوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

" لقد كان الشعراء يتشوقون لأوطانهم ولا يعرفون في ذلك"[1] حتى "جاء ابن الرومي وذكر الوطن، وبين العلة التي لها يحب"[2]، وهي أنه ملاعب صباه التي يحن إليها، وأن الإنسان يألفه، ويتصل به اتصال الروح بالجسد.

- المذهب الكلامي:

"كان ابن الرومي يصطنع هذا المذهب في الاحتجاج والجدل، وقد كثر هذا اللون البديعي في شعره، تسعفه فيه مهارة في الحوار والجدل، اكتسبها من المعتزلة؛ إذ كان يخالطهم ويسير على مذهبهم"[3]، وأبدع في توظيف ذلك في وصفه للطبيعة، فها هو يجادل في تفضيله النرجس على الورد وإيثاره له، مضفيا على النرجس صفات تؤهله لأن يكون له التفوق، فيقول[4]: (الكامل)

خجلت خدود الورد من تفضيله خجلا توردها عليه شاهد

لم يخجل الورد المورد لونه إلا وناحله الفضيلة عاند

---

[1] أبو زيد، سامي، ابن الرومي؛ قراءة نقدية في شعره، ص٤٦٣.

[2] الصولي، أخبار أبي تمام، ص٢٣.

[3] أبو زيد، سامي، ابن الرومي؛ قراءة نقدية في شعره، ص٤٦٣.

[4] ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص٦٤٣.

فصل القضية أن هذا قائد زهر الرياض وأن هذا طارد

شتان بين اثنين هذا موعد بتسلب الدنيا وهذا واعد

للنرجس الفضل المبين وإن أبى آب وحاد عن الطريقة حائد

من فضله عند الحجاج بأنه زهر ونور وهو نبت واحد

يحكي مصابيح السماء وتارة يحكي مصابيح الوجوه تراصد

- التلطف (التغاير):

يقصد به "أن تتلطف للمعنى الحسن حتى تهجنه والمعنى الهجين حتى تحسنه"[1]، وقد ساق أبو هلال العسكري الكثير من الشواهد على هذا اللون البديعي من شعر ابن الرومي، وفي تهجين المعنى الحسن، أنه ذم لعبة الشطرنج، ويبدو أنه "كان يجهلها ويحاول البراعة فيها فلا تساعده الحيلة، فينقلب هازئا بها"[2]، إذ يقول[3]: (الطويل)

أرى لعبة الشطرنج إن هي حصلت أحق أمور الناس ألا يحصلا

تعلة توابين جاعا وأرملا بباب قليل خيره فتعللا

---

[1] العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران ، ت ٣٩٥ هـ ،كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ط١ ، ١٩٥٢م ، ص٤٢٧وما بعدها.

[2] العقاد، ابن الرومي، ص١٩٠.

[3] ابن الرومي، الديوان، ج ٥، ص ١٩٣٥.

ثانياً: التناص:

يشكل التراث رافدا مهما من روافد الحركة الشعرية، ولا يوجد نص شعري لم يعتمد فيه منشئه على نصوص سابقة، ومن الشعراء من يعيد التراث إعادة جامدة لا حياة فيها، ومنهم من يستفيد من التراث، فيوظفه توظيفا حيويا، ومنهم من يعتمد على التراث ويخضعه لتجربته، فيطوره ويزيد عليه، ويظهره بمظهر جديد، ويقصد بالتناص: "تضمين نص لنص آخر، أو استدعاؤه، أو هو تفاعل خلاق بين النص المستحضر والنص المستحضر ، فالنص ليس إلا توالدا لنصوص سبقته"[1].

ومن التناصات الكثيرة في شعر ابن الرومي التناص الديني ومن الأمثلة على ذلك قوله[2]: (الكامل)

من بعد ما غادرتهم وكأنما قعرت بهم عصف الرياح نخيلا

وبذلك يشبر إلى قوله تعالى: ﴿تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾[3] في حديثه عن "إبراهيم بن المدبر" الذي ترك جمع الزنج ترك جمع الزنج وكأنهم أصول نخل قد انقلعت من مغارسها وسقطت على الأرض وقد عصفت بهم الريح.

ومما جاء في شعره من التناصات ذات العلاقة المباشرة بشعر الطبيعة ويقع ضمن التناص الديني قوله[4]: (البسيط)

تأتي على القمر الساري حوادثه حتى يرى ناحلا في شخص عرجون

---

[1] ربابعة، موسى، التناص في نماذج من الشعر العربي الحديث، ط١، إربد: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، ٢٠٠٠م، ص٩٥.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج ٥، ص ١٩٧١.

[3] سورة القمر، الآية٢٠.

[4] ابن الرومي، الديوان، ج ٦، ص ٢٤٦٥ .

ويشير إلى قوله تعالى: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾[1]، وقد ظهر التناص بأنواعه المختلفة الديني، والتاريخي، والأسطوري لا مجال التوسعة البحث بها إذ ليست جميع التناصات ذات علاقة بالطبيعة موضع البحث.

ومقولة التناص تنطبق انطباقا تاما على قضيتي الاقتباس والتضمين، فهما مفهومان داخلان في موضوع التناص، والاقتباس بالمعنى البلاغي هو "أن يضمن الكلام شيئا من القرآن الكريم، والحديث، ولا ينبه عليه للعلم به"[2]، أما التضمين في المعنى البلاغي فهو: "قصدك إلى البيت من الشعر أو التقسيم فتأتي به في آخر شعرك، أو في وسطه كالمتمثل"[3].

"يفيض شعر ابن الرومي ويمتلئ بشتى أنواع التناص بمفهوميه، التضمين والاقتباس، الأمر الذي جعل ظاهرة تداخل النصوص سمة بارزة في شعره ، وظهر لديه نمطان من التناص؛ النصوص المتضمنة تلميحا أو إيحاء (تناص غير مباشر)، والنصوص المقتبسة حرفيا (تناص مباشر).

وقد كانت النصوص منسجمة في أغلب الأحيان مع السياق الشعري لديه، مما جعل شعره بشكل عام ملتحما ومترابطا ومقنعا فنيا وفكريا، فالشاعر عندما يستحضر نصا ويضمنه في شعره؛ إنما هو لغرض يراه ضروريا لتعميق فكرته المطروحة، أو منسجما مع البناء الفني أو الأسلوبي في شعره، وتداخل النصوص وتوظيفها وانسجامها تشكل بؤرة التناص التي تسهم في إبراز النص الشعري وإثرائه"[4].

- التضمين:

جاءت تضمينات ابن الرومي منسجمة في سياقها، واستطاع أن يوظف ما يستلهمه من النصوص الأخرى توظيفا فنيا بأن يجعل النص المستعار جزءا

---

[1] سورة يس، الآية ٣٩.

[2] القزويني، زكريا بن محمد، شرح التلخيص في علوم البلاغة، شرحه: محمد هاشم دويدري، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٠٠.

[3] ابن رشيق القيرواني، أبوعلي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآداب هو نقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٤، دار الجليل، بيروت: ١٩٨٤، ج٢/ص٨٤.

[4] العبيدي، حسن، والدليمي، عبد الحميد، التناص الديني والأدبي في شعر ابن الرومي، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، جامعة الأنبار، السنة الثالثة، العدد (٦)، ٢٠١٢، ص١٥٨.

من نصه مندمجا معه، ورافدا له، فتغلب بذلك على أبرز صعوبات التضمين التي تكمن في "قدرة الشاعر وهو يضمن شعر سواه أن يجعل ذلك البيت المضمن جزءا من بنية القصيدة، مع إيصال الدلالة إلى المتلقي الذي يفترض فيه الشاعر إحاطته بما ضمنه من أبيات سواه"[1].

ذهب بعض النقاد إلى أن ابن الرومي كان واقعا تحت تأثير لغة أبي تمام،ولاسيما في مجال اللغة المجازية[2]، فعن أبي تمام أخذ تراسل الحواس على سبيل المثال، كما في قوله[3]:(الكامل)

أعبقته من طيب ريحك نفحة كادت تكون ثناءك المسموعا

وهذا يذكر بقول أبي تمام يصف قصائده:[4]

عبقات بالسمع تبدي وجوها كوجوه الكواعب الأتراب

ولم يقصر ابن الرومي تضميناته على زمن أدبي دون آخر، فقد ضمن من الشعراء الجاهليين، وحتى العباسيين،وظهر في شعره تضمين غير محور[5]، ويقصد من هذا أن يستحضر الشاعر صدر بيت، أو عجزه، أو بيتا كاملا ـ وهو قليل ـ دون أن يحدث أي تغيير يذكر،و"هذا يدل على أن وعي الشاعر قد رافقه أثناء عملية التضمين"[6].

---

[1] عيد، رجاء، لغة الشعر: قراءة في الشعر العربي الحديث،الإسكندرية: منشأة المعارف،١٩٨٥، ص٢٩.

[2] الصفدي، ركان، ابن الرومي، الشاعر المجدد، ص٢٢٣.

[3] ابن الرومي، الديوان، ج٤، ١٤٩٠.

[4] أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ،ت: محمد عبدو عزام،ط٣، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٢، ٣٠٩/٤.

[5] بوزيدي، نعيمة، التناص في شعر ابن الرومي، حوليات جامعة الجزائر، العدد٢٠، ديسمبر ٢٠١١، ص٣٢٣.

[6] ربابعة، موسى، التناص في نماذج من الشعر ، ص٨٦ .

يقول ابن الرومي:[1] (الطويل)

مديحي عصا موسى وذلك أنني ضربت به بحر الندى فتضحضحا

فيا ليت شعري إن ضربت به الصفا أيبعث لي منه جداول سيحا

ولعل بعض التضمينات تبتعد عن محور الطبيعة في بعض جوانبها ولكن الباحث ارتأى وضعها لما بها من أمثلة دالة على الظاهرة قيد الدرس.

وحيث إن قصائد ابن الرومي ذات نفس شعري طويل فإن قصائده لا تخلو من استعادة قراءة تأويلية تربط التضمينات ببعض مفردات الطبيعة ومن ذلك قوله[2]: (الطويل)

علي لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

فالعقارب من مفردات الطبيعة الحيوانية وإن جاءت في قول الشاعر على سبيل التفنن البديعي.

ومن الأمثلة على التضمين كمبحث عام ؛ حيث جاء في زهر الآداب أن ابن الرومي نقل قول الملك بهرام جور: "تأمل العيب عيب"كما اتفق موزونا[3]، فقال:[4] (المجتث)

تأمل العيب عيب وليس في الحق ريب

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص ٥٢٠.

[2] المصدر السابق، ج١، ص ٢٢٠.

[3] القيرواني، إبراهيم بن علي الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق وشرح وضبط: زكي مبارك، بيروت: دار الجيل، بيروت، (د ـ ت)، ٦١٢/٢.

[4] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص ١٤٦.

وكل خير وشر خلف العواقب غيب

لا تحقرن سيبا كم جر نفعا سيب

والبيت الأخير أخذه ابن الرومي من قول الطائي:[1]

رب قليل غدا كثيرا كم مطر بدؤه مطير

واستجاد ابن رشيق التضمين عند ابن الرومي في أكثر من موضع، فنسب إليه البيتين:[2](الكامل)

يا سائلي عن خالد، عهدي به رطب العجان وكفه كالجلمد

كالأقحوان غداة غب سمائه جفت أعاليه وأسفله ندي

وعلل حسن هذا التضمين بأنه صرف وجه البيت الثاني المضمن عن معنى قائله إلى معناه، والبيت للنابغة في صفة الثغر:[3]

تجلو بقادمتي حمامة أيكة بردا أسف لثاته بالإثمد

كالأقحوان غداة غب سمائه جفت أعاليه وأسفله ندي

وساق الجرجاني[4] أمثلة عما أسماها سرقات ابن الرومي، وأظنها تدخل في باب التناص غير المباشر، ومن ذلك قوله:[1] (الطويل)

---

[1] ينظر: القيرواني، زهر الآداب ، ص٦١٢.

[2] ابن رشيق، العمدة، ج٢، ص ٨٥.

[3] النابغة، الديوان، ص٤٠.

[4] الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمود البجاوي، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٦، ص٣٤٠.

وما ازداد فضل فيك بالمدح شهرة بل كان مثل المسك صادف مخوضا

أخذه من قول علي بن الجهم في صفة الشعر:[2] (الطويل)

فسار مسير الشمس في كل بلدة وهب هبوب الريح في البر والبحر

وأظن أن ابن الرومي قد أخذ المعنى من بيت ابن الجهم، وكيف أن المديح يجعل صيت الممدوح يذيع في كل مكان كمسير الشمس فتصرف فيه لخدمة أغراضه وأهدافه.

وفي كتابه البديع يعرف ابن منقذ المساواة بأنها "مساواة الآخذ عنه للمأخوذ عنه، والأول أحق به لأنه ابتدع والثاني اتبع فالأول سابق والثاني لاحق"[3]، ثم يورد قول ابن المعتز:[4](الطويل)

كأن سقيط الدمع في وجناتها سقيط الندى أوفى على ورق الورد

وكيف أخذ ابن الرومي المعنى، وأخرجه في قالب إيقاعي مختلف، وزاد في تفصيله على صعيدي المبنى والمعنى، فقال:[5] (المنسرح)

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٤، ص ١٣٨٧.

[2] ابن الجهم، ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم بك، ص٢، بيروت: لجنة التراث العربي، د.ت، ص١٤٧.

[3] ابن منقذ، أسامة، البديع في نقد الشعر، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، القاهرة: البابي الحلبي، ط١، ١٩٦٠، ص١٩٤.

[4] الصولي، محمد بن يحيى، شعر ابن المعتز، تحقيق أحمد السامرائي، بغداد: منشورات وزارة الثقافة والفنون، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٧، ص٤٥٤.

[5] ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص٧٦٧.

لو كنت يوم الفراق حاضرنا وهن يطفئن غلة الوجد

لم تر إلا دموع باكية تقطر من مقلة على خد

على الرغم من عمق المعنى في قول ابن المعتز وتركيزه على الدلالة والاتساع في المدلولات، إلا أن ابن الرومي قد زاد على ألفاظ ابن المعتز ومعانيه، ولم يكتف بالتعالق النصي فقط.

وقد تتوافق رؤية ابن الرومي مع من سبقه، فتكون كل منهما متشابهة ومنسجمة، ومن هنا تكمن أهمية التناص، ونلاحظ ذلك في الانسجام بين قوله وقول أبي نواس،فقال أبو نواس:[1]

عيون من لجين شاخصات بأبصارهن الذهب السبيك

على قضيب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

وقال ابن الرومي:[2] (الكامل)

ذهب العيون إذا مثلت لنا در الجفون زبرجد القضب

ويستحضر ابن الرومي أحيانا الموقف التراثي ثم يبعث فيه حياة جديدة، مبرزا قوته في نقل النص الأصلي إلى نص جديد مغاير لحقيقة النص الأصلي، فقد أعاد ابن الرومي إنتاج مطلع قصيدة النابغة بوعي يكشف تناسل النصوص وتفاعلها، قال النابغة:[3]

---

[1] أبو نواس، الحسن بن هانئ، ديوان أبي نواس برواية الصولي،تحقيق: بهجت الحديثي، بغداد: دار الرسالة للطباعة، ١٩٨٠، ص٢٧٥

[2] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص ١٤٧.

[3] النابغة، الديوان، ص٤٣.

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

وقال ابن الرومي:[1](الطويل)

ومن أجل ما راعى من البين قوله كليني لهم يا أميمة ناصب

لقد أراد النابغة أن يشكو من البعد المتعب، بينما أوضح ابن الرومي أن أكثر ما يخيف من البعد هو التفكير فيه، فاستطاع بذلك أن يثبت رؤيته بتوظيفه القديم واستلهامه له، دون أن يكون قد نسخه فقط.

"وينقل ابن الرومي في بعض مواضع التضمين المحور "غير المباشر"، إحساسه بالنص القديم، وتفاعله معه، فلا يفقده بذلك قيمته الوظيفية الأساسية، وذكر ابن أبي الإصبع أنه "من مليح حسن الاتباع ما وقع بين ابن الرومي وبين أبي حية النميري، فيما قاله في زينب أخت الحجاج:[2] (الطويل)

فهن اللواتي إن برزن قتلنني وإن غبن قطعن الحشا حسرات

فاتبعه ابن الرومي، وأتى بمعنى البيت كاملا في نصف بيت:[3] (الكامل)

ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام ونزعهن أليم

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص ٢٢٠.

[2] ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن الواحد، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ت، ص٤٨١.

[3] ابن الرومي، الديوان، ج٦، ٢٣٩٧.

وهذا أكسب البيت حسنا على حسن"[1].

لقد أفاد ابن الرومي من الشعراء السابقين، واعتمد على ذاكرته الشعرية،فمنح التراث شعره حياة وخصوبة، إذ استطاع أن يفاعل النصوص مع أغراضه ومعانيه ليخرج بصور إبداعية جديدة ورائدة.

- الاقتباس:

يكثر الاقتباس في ديوان ابن الرومي كثرة مفرطة، مما يزيد شعره قوة ومتانة وجمالا، وقد يكون الاقتباس بأخذ آية كاملة وهو أمر نادر عنده، أو باقتباس عبارات محددة تخدم المعنى الذي يريد إيصاله؛ فاقتباسات ابن الرومي جاءت جزئية ولماحة، وعدم التزامه بنقل الآية كاملة يعود غالبا إلى تدخله في توجيه ما يقتبسه لخدمة موقفه، كما أن "طبيعة الشعر العمودي ربما لا تحتمل استحضار الآية كاملة؛ لأن الشاعر يكون فيها محكوما للوزن والقافية"[2].

لقد تداخلت النصوص القرآنية التي اقتبسها ابن الرومي واندغمت مع نصوصه الشعرية بشكل عمق رؤيته للأحداث، وأسهم في تشكيل البناء الفني والأسلوبي لشعره؛ ولأن القرآن من أهم المصادر التي استقى منها ابن الرومي ثقافته، فقد وظف آيات القرآن لصالح أغراضه المختلفة.

ويرد الاقتباس عنده فيه على نوعين[3]:

- نوع لا يخرج به المقتبس عن معناه الأصلي:

من ذلك قوله[4]: (الوافر)

إذا شمس الأصائل عارضتها وقد كربت توارى بالحجاب

---

[1] العبيدي، حسن، والدليمي، عبد الحميد، التناص الديني والأدبي في شعر ابن الرومي، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، جامعة الأنبار، السنة الثالثة، العدد (٦)، ٢٠١٢م ،ص ١٦٧ .

[2] ربابعة، موسى، التناص في نماذج من الشعر العربي الحديث، ص٨٣.

[3] أبو زيد، سامي، ابن الرومي؛ قراءة نقدية في شعره، ص٤٦٨.

[4] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص ٢٥٨.

فقد كنى به على غروب الشمس واختفائها، وكذلك هو في قوله تعالى: ﴿حتى توارت بالحجاب﴾[1].

" ومن أمثلة التوظيف اللائق للاقتباس، قوله مخاطبا ممدوحه[2]:(الكامل)

العرف غيث وهو منك مؤمل والبشر برق وهو منك مشيم

لله أخلاق منحت صفاءها مثل الرحيق مزاجه التسنيم

فيستلهم صورة المشبه به في البيت الأخير من صورة شراب الأبرار في الجنة"[3] ، في قوله تعالى: ﴿يسقون من رحيق مختوم(٢٥) ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون (٢٦) ومزاجه من تسنيم (٢٧)﴾[4].

"ومن قصائده المدحية التي اقتبس فيها من القرآن الكريم، قوله:[5] (مجزوء الكامل)

يوماه يوم ندى ويو م ردى عبوس قمطرير

في ذا وذاك كليهما خير وشر مستطير

نلاحظ أن الشاعر اقتبس من آيتين، قوله تعالى: ﴿إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا﴾[7].

---

[1] سورة ص، الآية ٣٢.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٦، ص ٢٢٥٦.

[3] العبيدي، حسن، والدليمي، عبد الحميد، التناص الديني والأدبي في شعر ابن الرومي، ص ١٥٩- ١٦٠ .

[4] سورة المطففين، الآيات ٢٥-٢٧.

[5] ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص٩٠٤.

[6] سورة الإنسان، الآية ١٠.

[7] سورة الإنسان، الآية ٧.

والزمن عند الممدوح يومان : يوم عطاء للصديق، ويوم ردى للعدو، وله القدرة على تحويل الزمن بين يدي الأعداء إلى بؤس وشقاء[1]".

ومن الأمثلة على الاقتباس عند ابن الرومي نوع يخرج به المقتبس عن معناه الأصلي، من ذلك قوله:[2] (مجزوء الوافر)

لئن أخطأت في مدحـ ك ما أخطأت في منعي

لقد أنزلت حاجاتي بواد غير ذي زرع

اقتبسه من قوله تعالى: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع﴾[3]، وهي في القرآن الكريم بمعنى مكة المكرمة؛ إذ لا ماء فيها ولا نبات، فنقله الشاعر عن هذا المعنى الحقيقي إلى معنى مجازي هو: لا نفع فيه ولا خير، فكنى به عن الرجل الذي لا يرجى نفعه.

وقوله في قارورة مكسورة:[4] (مجزوء الرجز)

قد وصلت قارورتي وحاجتي ما وصلت

تسيل مستعبرة بأي ذنب قتلت

" يعبر ابن الرومي عن الفكرة التي تجول في فكره، فلا يعير أهمية للاختلاف الحاصل بين مراد الآية وما يريد إيصاله في شعره، فالاقتباس واضح من قوله تعالى: ﴿وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت﴾[5]، لقد استطاع الشاعر أن ينشئ

---

[1] العبيدي، حسن، والدليمي، عبد الحميد، التناص الديني والأدبي في شعر ابن الرومي، ص ١٦٠ .

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٤، ص ١٥٥٣.

[3] سورة إبراهيم، الآية ٣٧.

[4] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص ٣٥٨.

[5] سورة التكوير، الآية ٩.

الصورة الاستعارية، وأن يذيب النص الأول في الثاني، على الرغم من الاختلاف الكبير بين كسر القارورة ووأد البنات"[1].

ثالثاً: الأسلوب:

هو طريقة التعبير عن عناصر النص الشعري؛ لتكوين الوحدة العضوية[2]، أو هو إطار الفكرة، والقالب الفني الذي يصب فيه الأديب أفكاره[3].

يتكون الأسلوب من لبنات هي المفردات التي وقف عندها العرب طويلا يتبينون الأساليب التي تهب الكلمة الجمال، لتؤدي دورها في الأسلوب أداة كاملة، لتقوم بنصيبها في التأثير النفسي تأثيرا بالغا[4]، "والشعر العربي يعتمد في الأساس على الأسلوب الذي يستطيع الشاعر من خلاله إظهار القصيدة، وبيان مواهبه وملكته ومدى نجاحه في صياغة الصورة الشعرية"[5].

إن طول القصائد عند ابن الرومي التي قد يبلغ بعضها مئات الأبيات جعل بعض النقاد يرون هذا الطول على حساب المعنى دون اللفظ، ومنهم العقاد الذي يقول: "فالعلامات البارزة في قصائد ابن الرومي هي طول نفسه وشدة استقصائه المعنى واسترساله فيه وبهذا الاسترسال خرج عن سنة النظامين الذين جعلوا البيت وحدة النظم وجعلوا القصيدة يضمها سمط واحد قل أن يطرد فيه المعنى إلى عدة أبيات وقل أن يتوالى فيها أبيات متفرقة النسق تواليا يستقصي على التقديم والتأخير والتبديل والتحوير، فخالف ابن الرومي هذه السنة وجعل القصيدة كلا واحدا لا يتم إلا بتمام المعنى الذي أراده على النحو الذي نحاه، فقصائده موضوعات كاملة تقبل العناوين وتنحصر فيبها الأغراض، ولو خسر في سبيل ذلك اللفظ والفصاحة"[6].

---

[1] العبيدي، حسن، والدليمي، عبد الحميد، التناص الديني والأدبي في شعر ابن الرومي، ص ١٦٣ .

[2] الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥م، ص ٣١.

[3] أبو الهيجاء، فؤاد حسن، شعر الجهاد الشامي في مواجهة الصليبين، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠٠٤م، ص ٢٣٠.

[4] البدوي، أحمد، أسس النقد العربي عند العرب، مكتبة النهضة مصر، ط٣، ١٩٩٤م، ص ٢٥٣.

[5] العاني، محمد شهاب ٢٠٠٨م، الشعر السياسي الأندلسي عصر ملوك الطوائف، ص١٨١ بتصرف، دار دجلة، عمان الأردن.

[6] العقاد، محمود عباس، ابن الرومي حياته من شعره، القاهرة: مطبعة مصر، د.ت، ص٥٩.

ويخالفه ضيف في الرأي إذ يرى أن طول القصائد لا تقدح من شاعرية الشاعر بل هي محمد له، فهدفه استقصاء كل جوانب المعنى بحيث لا يترك شاردة ولا واردة لغيره فيقول : "لقد دفعته الفلسفة إلى تحليل المعاني تحليلا مستقصيا حتى لكأنه حين يريد أن يلم بمعنى بحيث لا يترك فيه بقية لأحد بعده، هو تحليل يشفع بالأدلة والأقيسة المنطقية بحيث تتلاحم الأبيات في القصيدة تلاحما وثيقا وكل بيت يسلم إلى تاليه بل يدخل في تكوينه وتشكيلة وفي تضاعيف ذلك يستقصي ابن الرومي جوانب المعنى الذي يريد أن يعرضه إلى أبعد غاية ممكنة"[1].

"كان اعتماد ابن الرومي على الأساليب الإنشائية كبيرا، بوصفها أساليب تحتضن التجربة الشعرية، فتعبر بالأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني والتعجب، والعدول عن دلالات هذه الأساليب الوضعية إلى دلالات أخرى يوحي بها السياق[2]"، واستخدم ابن الرومي أساليب كثيرة لصياغة تصويراته وتشبيهاته وإيصال أفكاره، وسنقف عند بعض الأساليب التي لجأ إليها ووردت كثيرا في شعره، وأفاد منها في إثارة ذهن المتلقي، وأبرزها:

- النداء:

النداء هو: الصوت مثل الدعاء، وقد ناداه ونادى به، وناداه مناداة، أي: صاح به[3].

واصطلاحا هو: تنبيه المنادى وحمله على الالتفات، ويعبر عن هذا المعنى أدوات استعملت لهذا الغرض[4]، "وهو في أصل الوضع رفع الصوت ومده بأدوات معينة لتنبيه المنادى وحمله على الإصغاء إلى خبر أو طلب يليه، وهو موجه أصلا إلى العاقل، وقد استعمله كثيرا في أغراضه الشعرية في معرض وصف أو رثاء أو مدح أو هجاء[5]".

---

[1] ضيف، شوقي، فصول في الشعر ونقده، ط ١، القاهرة: دار المعارف، د.ت، ص٤٣.

[2] أبو زيد، سامي، ابن الرومي؛ قراءة نقدية في شعره، ص ٤٧٨.

[3] ابن منظور، لسان العرب، مادة ندى.

[4] المخزومي، مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، ط٢، بيروت ١٩٨٦م، ص ٣٠١.

[5] أبو زيد، سامي، ابن الرومي؛ قراءة نقدية في شعره، ص٤٨٠.

لقد أسهم هذا الأسلوب كثيرا في بناء قصائد ابن الرومي، فهو ركيزة أساسية في معظم أشعاره، وأحد أهم الظواهر الأسلوبية في فنه.

فمن ذلك قوله في قصيدته التي يرثي فيها يحيى بن عمر[1]، ويستحضر فيها الطبيعة بكواكبها[2]: (البسيط)

يا ناعي ابن رسول الله في البشر ومعلنا باسمه في البدو والحضر

لقد نعيت امرأ ظلت لمصرعه قواعد الدين والدنيا على خطر

لقد نعيت امرأ لم تحي مكرمة إلا به، وبه سارت إلى الحفر

لقد نعيت امرأ ما كنت أحسبه ينعاه إلا هوي الشمس والقمر

لو فات شيء مدى ميقاته انكدرت زهر النجوم منه كل منكدر

نلحظ أن الشاعر في هذا النص يستثمر الطبيعة في رثائه مستندا على أداة النداء التي أثرت في النص بشكل بالغ الأثر؛ لأن لهذه الأداة تأثيرا في سمع المتلقي، "فهي تختص من بين أحرف النداء بخصائص كثيرة منها: انفرادها في باب الاستغاثة، كما لاحظنا ذلك كثيرا في قصائد ابن الرومي، فضلا عن غيره من الشعراء، ومشاركتها (و) في باب الندبة، وغيرها في الكثير من الخصائص"[3]، والشاعر استعان بهذه الأداة لأنها من "الأدوات الأكثر استعمالا، حيث إنه لا ينادى بها للقريب أو المتوسط البعد"[4]، فهي تستخدم

---

[1] يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن أبي طالب، ينظر ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص١١٣٤.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٣، ص١١٣٤-١١٣٥.

[3] يعقوب، إميل بديع، موسوعة الحروف العربية، ط٢، دار الجيل، بيروت ١٩٩٥م، ص ٥٤٠.

[4] المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، ت: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت ١٩٩٢م، ص ٢٣٢.

لنداء البعيد في الأصل؛ لذا استعملها الشاعر لأنه ينادي بها من هو بعيد جدا ومن هو لا يسمعه أصلا وبعد غيابه عن الحياة.

ونلحظ أن هذه الأداة تثير الشجن، خاصة عندما تكون في بداية النص، فهي تعمل على شد المتلقي إلى الشاعر وإثارة انتباهه نحو مشاعره الحزينة ونعيه للمرثي.

ففي وصفه لمدينة البصرة ورثائها بعد المصيبة التي حلت بها، فأحالتها حطاما، مزج ابن الرومي حديثه عن جمال المدينة وماضيها الزاهر بتحسره وحزنه عليها، واستخدم أسلوب النداء في مناجاته للمدينة، فيقول[1]:(الخفيف)

لهف نفسي عليك أيتها البص رة لهفا كمثل لهب الضرام

لهف نفسي عليك يا معدن الخي رات لهفا يعضني إبهامي

لهف نفسي يا قبة الإس لام لهفا يطول منه غرامي

وفي رثاء ابنه الأوسط يقول[2]:

أريحانة العينين والأنف والحشا ألا ليت شعري هل تغيرت عن عهدي

محمد ما شيء توهم سلوة لقلبي إلا زاد قلبي من الوجد

ومثلما استعمل شاعرنا (يا) النداء للرثاء استعملها أيضا للتواصل مع ما هو بعيد المنال، كما جاء بقوله:[3] (الكامل)

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج ٦، ص ٢٣٧٧.

[2] المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٢٦ .

[3] ابن الرومي، الديوان، ج٤، ص ١٧١٥.

يا من بغرته الهلال أما ترى قمر السماء وقد بدا في المشرق

كخريدة[1] نظرت إلى إلف لها فتلثمت خجلا بكم أزرق

ويبدو أن الشاعر اشتاق لنسيم نهاية الصيف بعد معاناته من شدة حر الصيف، لذا كتب في نسيم شهر أيلول، واستعان بياء النداء دلالة على تشوقه لهذا النسيم بأجوائه اللطيفة العليلة، فقال:[2](البسيط)

يا حبذا ليل أيلول إذا بردت فيه مضاجعنا، والريح سجواء[3]

"وقد يخاطب ابن الرومي ممدوحه مفصحا عما يخالجه من حزن وأسى لعدم اكتراثه به مستعملا أسلوب النداء،"[4] فيقول متحسرا[5]: (الخفيف)

يا أبا القاسم الذي كنت أرجو ه لدهري قطعت متن الرجاء

"ويتجاوز ابن الرومي - وهو الشاعر المبدع - المألوف فينادي غير العاقل ليبوح له بمكنوناته أو ليطلب منه ما يطلب من العاقل معبرا عن لوعته على شبابه[6]" ؛إذ يقول[7]:(الخفيف)

يا شبابي وأين مني شبابي آذنتني حباله بانقضاب

---

[1] خريدة: الخريدة والخريد والخرود من النساء: البكر التي لم تمس قط ، وقيل : هي الحبيبة الطويلة السكوت الخافضة الصوت. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة خرد.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج١، ص ٥٥.

[3] الريح السجواء: الريح الساكنة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سجا.

[4] أبو زيد، سامي، ابن الرومي؛ قراءة نقدية في شعره، ص٤٨٠.

[5] ابن الرومي، الديوان، ج ١، ص ٦٥.

[6] أبو زيد، سامي، ابن الرومي؛ قراءة نقدية في شعره، ص٤٨٠.

[7] ابن الرومي، الديوان، ج ١، ص ٣٣٤.

"ويمضي ابن الرومي في فجيعته بفقد هذا الشباب"[1] ، فيقول[2]: (الوافر)

فيا أسفا ويا جزعا عليه ويا حزنا إلى يوم الحساب

- الاستفهام:

هو أحد الأساليب الطلبية في اللغة العربية، وهو " طلب فهم شيء لم يتقدم لك علم به، بأداة من إحدى أدواته وهي: الهمزة وهل ومن ومتى وأيان وأين وكيف وكم وأي"[3].

لقد اتكأ ابن الرومي على هذا الأسلوب كثيرا في قصائده، وجاء بمواضيع متنوعة ومتعددة، ففي الأبيات الآتية أفاد ابن الرومي من أسلوب الاستفهام بشكل متتابع، "فعبر عن فيض من الانفعالات ومشاعر الإعجاب التي تمور بها نفسه إزاء ممدوحه ليعيشا معا في عالم الأماني والخيال"[4]، فيقول:[5] (المنسرح)

هل يخلف البدر وجه سيدنا كلا، ولا الشمس في مشارقها؟

أو يخلف البدر نور ضحكته إذا انجلى الليل عن بوارقها؟

أو يخلف الغيث راحتيه لنا كلا، وأخلاقه وخالقها؟

أو يخلف البحر ما تجيش به أفكاره تلك من دقائقها؟

---

[1] أبو زيد، سامي، ابن الرومي؛ قراءة نقدية في شعره، ص٤٨١.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج ١، ص ٢٥٨.

[3] المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، ط٣، بيروت ١٩٩٣م، ص ٦٣.

[4] أبو زيد، سامي، ابن الرومي؛ قراءة نقدية في شعره، ص٤٨٠.

[5] ابن الرومي، الديوان، ج٤، ص ١٦٣٨.

من الملاحظ أن الشاعر كان متحيرا كثيرا في وصف صفات ومكانة الممدوح العالية الشأن، متكئا في ذلك على الطبيعة السماوية، فقد ساعده البدر والشمس بترسيم صورة للممدوح، فضلا عن استثماره للتغيرات المناخية والجغرافية في تعزيز ذلك الوصف، فها هو يتساءل وبحيرة عن خلفة البدر لوجه سيده، وبإصرار موثق منه يؤكد أنه حتى الشمس في مشارقها لا تستطيع أن تخلف وجه سيده، ويؤكد ذلك بقوة أكثر عندما ينعدم البدر لنور ضحكته عند انجلاء الليل، ويستدرك قوله واصفا كرم الممدوح بغزارة الغيث، فيداه وأخلاقه الكريمة حتى الغيث لا يستطيع أن يجاريه فيهما، ويتجاوز ذلك ليمضي إلى البحر بسعته التي لا يمكن وصفها، فيقارنها بأفكار الممدوح العالية والعظيمة.

وفي وصفه للبصرة بعد خرابها يفيد ابن الرومي كذلك من أسلوب الاستفهام بشكل متتابع، فنجده في بعض الأبيات يكرر الاستفهام متحسرا ما حصل للمدينة واصفا حجم المصيبة التي حلت بأهلها متسائلا عن معالمها الحضارية التي كانت تزدان بها، فيقول[1]: (الخفيف)

أين ضوضاء ذلك الخلق فيها أين أسواقها ذوات الرخام

أين فلك فيها وفلك إليها منشآت في البحر كالأعلام

أين تلك القصور والدور فيها أين ذاك البنيان ذو الإحكام

ويستعين بأسلوب الاستفهام وهو يهجو شنيف وزيرك[2]: (الطويل)

أأوعده بالشعر وهو مسلط على الإنس والجنان والطير والوحش؟

ألم أره لو شاء بلع تهامة وأجبالها طاحت هناك بلا أرش؟

---

[1] ابن الرومي، الديوان ، ج ٦، ص ٢٣٧٩ .

[2] المصدر السابق، ج٣، ص ١٢٤٦.

يستفهم الشاعر مستغربا من أسلوب شنيف وتسلطه على جميع الناس، بل حتى على الطيور والوحوش، ويصوره بأسلوبه الاستفهامي أنه يستطيع أن يبلع تهامة بجبالها وأرضها لو أراد ذلك.

وله قصيدة في أبي فراس[1]: (المجتث)

ما بال بخلك يا مسـ ـحل الحمار النحوص[2]؟

في معرض استهزاء الشاعر بأبي فراس يتعجب من بخله ويستعين بأسلوب الاستفهام؛ فيتعمد إلى إظهاره بصورة بذيئة وكأنه حمار سمين ليس له فائدة.

وللشاعر قصيدة قالها في إبراهيم بن أحمد المادرائي، يبدأها بمقدمة غزلية متكئا فيها على أسلوب الاستفهام والطبيعة الحيوانية والسمائية، كما جاء بقوله[3]: (الكامل)

أتلومهم للنفع أم لتزيدهم باللوم إقلاقا على إقلاق[4]؟

ما للذي أضحى يلوم ذوي الهوى أمسى صريع موقع الأحداق؟

أنى يعنف كل معنوف به يثني يديه على حشا خفاق؟

تهدي الحمامة والغراب لقلبه شجوا بساق تارة وبغاق

---

(1) المصدر السابق، ج٤، ص ١٣٧٣.

(2) النحوص: ناقة شديدة السمن. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة نحص.

(3) ابن الرومي، الديوان، ج٤، ص ١٦٦٢.

(4) غاق: طائر أسود من طيور الماء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة غوق.

ويشوقه برق السحاب وإنما يعنى ببرق المبسم البراق

يتضح أن الشاعر في هذا النص يخاطب المادرائي ويستفهم منه: أهو لائم للمنفعة أم للقلق؟ أي أهو يريد توبيخهم أم نفعهم؟! ويحاول أن يجعل مشابهة بينه وبين صريعي الهوى (بين المحبين) فلا فائدة من توبيخهم؛ لأنهم واقعون في الهوى والغرام، فهؤلاء يتشوقون للحبيب مع كل ما يذكرهم به، فتارة كما تهدي الحمامة صاحبة الهديل العذب الحزين الذي يثير الأشجان والأحزان، وتارة مع صوت الغراب الذي يذكرهم بالحبيب الغائب، ويزدادون شوقا مع برق السحاب الذي يذكرهم بابتسامة المحبوب.

وله أبيات في علي بن العباس النوبختي[1] يقول فيها:[2] (السريع)

أحمى علينا نخلكم ذيخه[3] فكيف ما يحمل في ذيخه؟

ولم نزل نرجوه كالمرتجي طاعة عات قبل تدويخه

ثم علمنا علم مستيقن أن الثريا من شماريخه

فاستيأست من خيره أنفس عزاؤها في طول توبيخه

في هذا النص يستغل الشاعر أسلوب الاستفهام وهو يذم ابن العباس ويستعين بالصورة الكنائية لتصوير بخله، فيتخذ من علو ثمار النخل وصعوبة الوصول

---

(1) أبو الحسن، أحد مشايخ الكتاب وأهل الأدب المشاهير بالمروءة، روى من أخبار البحتري وابن الرومي قطعة حسنة، ومات سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، ج٤، ص ١٣٧، ١٣٨.

(2) ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص ٥٧٦.

(3) الذيخ: هنا يقصد به قنو النخلة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ذيخ.

إليها صورة مقارنة لصعوبة الوصول لعطائه، وهناك صعوبة للوصول لنجم الثريا، وصعوبة للوصول لمكارم ابن العباس، كناية عن بخله وشحه.

- التعجب:

وهو أسلوب استخدمه الشعراء كثيرا في قصائدهم، فهو يثير الانتباه إلى الحدث وما بعده، ويستدعي صورا كثيرة للنص، ومن خلاله يمكن أن تتسم القصيدة بسمات مختلفة عن القصائد الأخرى، ولابن الرومي قصائد متعددة تتسم بهذا الأسلوب، ومنها قصيدة في المديح يستعين فيها بأسلوب التعجب، كما جاء بقوله[1]: (الطويل)

فتى غير ما علج الخليقة خلقها ولا خنث الإتراف مثل المفنخ

تقابل منه العين عند طلوعه ضياء متى يصبب على الليل يسلخ

جواد يرى تطهير عرض وملبس وتدنيس طباخ، وتسويد مطبخ

يوبخه إحسانه أو يتمه وإن لم يكن في فعله بالموبخ

إذا ما العلا عدت فأي مصدر به عن أبي عثمانها ومؤرخ!

يظهر الشاعر الممدوح في هذا النص بصورة أسطورية مستغلا أسلوب التعجب والطبيعة في ذلك، فالممدوح كما يصوره ينير المكان في الليل، ويجعله مضيئا وكأنه نهار، فالليل بظلامه الداكن الكالح ينسلخ وينجلي بظهوره؛ لأنه يحمل صفات عالية رفيعة تجعل أي مكان منيرا مضيئا.

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص ٥٧٢.

ومنه قوله[1]: (الطويل)

غدا النكر بين الناس، والرب واحد كما كان، والأحياء شتى عبودها

فيا ليتها من أمة صاح صائح بها صيحة فاستلحقتها ثمودها

عذيري من الدنيا تخيب سعاتها ويحظى بمنفوس الأحاظي قعودها!

يستغرب ويتعجب الشاعر هنا من تغير أطباع الناس وحالهم، في حين أن الذي يربطهم ببعض هو الخالق (الله جل جلاله) هو الذي يجمعهم على الرغم من اختلاف أديانهم، ويشبههم بمن كانوا مختلفين في عبادتهم للخالق، حين كان منهم من يعبد الأصنام والأوثان ، ويتعجب الشاعر من البشر كيف هم؟! فاللئيم فيهم سعيد والعفيف فيهم تعيس، والساعي فيهم يائس والقاعد فيهم محظوظ مرتاح، فهي معادلة مختلة يراها الشاعر بنظرة حزينة يائسة لا أمل فيها ولا رجاء من هذه الدنيا.

وله في يحيى بن علي المنجم[2] قصيدة طويلة يمدحه فيها كما جاء بقوله[3]: (الخفيف)

سودت فيك كل بيضاء تسوي دا تراه العقول كالتذهيب

لو يناغي بيانها العجم يوما عرب العجم أيما تعريب

وهي مما أفاد تأديبك الفا ضل، واها لذاك من تأديب!

---

[1] المصدر السابق، ج٢، ص ٤٦٦.

[2] ابن الرومي، الديوان ، ج١، ص ١٤٥.

[3] يحيى بن علي المنجم: هو أبو أحمد النديم الأديب المعتزلي، نادم المعتضد والمكتفي وصنف عدة كتب في أخبار الشعراء . ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٢٠، ص ٢٨.

أما في هذا النص فنجد ابن الرومي يتعجب من صفات المنجم الرفيعة، الصفات التي جعلت الشاعر يكتب فيه صفحات وصفحات، كأنها الذهب المنقوش في العقول وليس على الورق، صفات تعجب منها العرب والعجم، وأوعز كل هذه الصفات إلى أدب الممدوح وخلقه الفاضل وعلو شأنه.

ومن تلك الأساليب التي كثرت في ديوان ابن الرومي الأسلوب القصصي فقد استخدمه في صياغة تصويراته وأفكاره؛ لأن هذا الأسلوب "من أسبق الأساليب الأدبية إلى استجلاء صور الحياة الاجتماعية، ورصد تفصيلاتها المثيرة الحية بأسلوب فني يجذب اهتمام القارئ، ويثير انتباهه"،[1] كما جاء في قوله وقد استثمر الطبيعة بطيورها ونسيمها العليل بأسلوبه القصصي الرائع وهو يعبر عن حالة عشق وهيام:[2] (الخفيف)

غرد الطير في الرياض وناحا وشكا العشق والغرام وباحا

ونسيم الشمال أهدى سحيرا من شذا الزهر عرفه الفياحا

واجتلينا على الندى والتداني بكر دن برأسها الشيب لاحا

بنت كرم تجلى لكل كريم وسنا نورها كسا الأقداحا

تجلب الأنس والسرور إلينا كيف لا؟ وهي تنشئ الأفراحا

كلما أظلم الظلام علينا واقتبسنا من نورها مصباحا

---

[1] خلف، سلام أحمد، السرد القصصي في شعر أبي تمام، مجلة كلية الآداب، عدد١٠١، جامعة الأنبار ٢٠١١م، ص ١٩٨.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص ٥٦٨.

إذ يسرد الشاعر ابن الرومي قصة شعرية تتماهى مع الطبيعة الخلابة وبطل هذه القصة هو الطير إذ يناجي الطبيعة ويشكوها العشق والغرام وتباريح الهوى وتصف القصيدة كيف بادلته الرياض حنينه وأنينه، ثم يكشف النص أن الطائر ليس إلا ذلك الشاعر الحزين الذي لجأ إلى الخمرة .

وقد يبدو النص خاليا من البنية القصصية للوهلة الأولى ولكن النص يحوي عناصر القصة من حيث المكان والزمان والشخوص والحبكة والنهاية المتمثلة في قوله: "واقتبسنا من نورها مصباحا ".

ولعل هذا المبحث يحتاج إلى دراسة شاملة يتوسع فيها الباحث في تجلية القص الشعري عند ابن الرومي.

ويسرد قصة مستثمرا الطبيعة برياحها وليلها ونهارها عندما مدح عبيد الله بن عبد الله كما جاء بقوله[1]: (الطويل)

بدا الشيب في رأسي فجلى عمايتي كما كشفت ريح غماما تطخطخا

ولا بد للصبح الجلي إذا بدت تباشيره أن يسلخ الليل مسلخا

وأضحت قناة الظهر قوس متنها وقد كان معدولا، وإن عشت فخخا

وأحدث نقصان القوى بين ناظري وسمعي وبين الشخص والصوت برزخا

وكنت إذا فوقت للشخص لمحتي طوت دونه سهبا من الأرض سرنخا

وكنت يناديني المنادي بعفوه فيغال سمعي دون مدعاه فرسخا

---

[1] ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص ٥٧٣.

ويبدو النص موضع الاستشهاد خاليا من العلاقة بالطبيعة إذ يدور فلكه القصصي حول الشيب لكن النص حافل بمفردات الطبيعة.

ونلحظ أن الشاعر يصور بأسلوبه القصصي غزو الشيب لرأسه في مطلع قصيدته التي قالها في مدح عبيد الله، مستعينا بالطبيعة الطبيعية، بالرياح القوية الكاشفة للغمام المطخطخ، ومستعينا بضوء الصبح المنير بعد انجلاء الليل المظلم، ومعبرا من خلال ذلك عن زوال الشباب وسطو الشيخوخة بمظاهرها عليه.

- الأمر والنهي:

من الأساليب الإنشائية التي أجاد ابن الرومي توظيفها توظيفا يخدم أغراضه الشعرية المختلفة، ولكنا نلحظ أن أغلب صيغ الأمر والنهي في شعره كانت لها دلالات وعظية وحث على الزهد والعمل لليوم الآخر، وكذلك بعض الاستجداء وبعض التشفي من مهجويه.

فيقول ابن الرومي[1]: (مجزوء الكامل)

حرك مناك إذا هم ت فإنهن مـــــراوح

لا تيأسن فإن رز ق الله غاد رائـــــح

يتضح من البيتين الاستخدام الوعظي، فهو يأمر المنى بأن تتحرك، ثم ينهى عن اليأس ويعلل ذلك بأن رزق الله غاد ورائح.

ويقول[2]: (الوافر)

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب

---

[1] الديوان، ج٢، ص٥٦٢.

[2] المصدر السابق، ج١، ص٢٣١.

وهذا البيت يعبر عن حكمة، وقد استخدم هنا الشاعر أسلوب النهي المؤكد بالنون ليقدم نصحه، ومن الأبيات التي تدل على الزهد قوله[1]: (الطويل)

فلا تحسب الدنيا إذا ما سكنتها قرارا، فما دنياك غير طريق

وبالرغم من بعد حياة ابن الرومي عن الزهد ولكن النهي جاء هنا ليقدم به موعظة الزاهد الذي يرى الدنيا على حقيقتها إلى زوال.

وكذا استعمل ابن الرومي الأمر والنهي في مطلع قصيدته التي رثى فيها امرأته[2]: (مخلع البسيط)

عيني شحا ولا تسحا جل مصابي عن البكاء

فهو يأمر عينيه بأن تحبس دموعها وينهاها عن البكاء، فالأمر جلل والمفقود عزيز.

وقال يستنجد بسالم بن عبد الله ابن عم الإخباري ويطلب الغوث[3]: (الوافر)

أغثني- يا أبا حسن- أغثني فأنت المستغاث لدى الكروب

أجرني من نقائص قد أضرت بعبدك، يا ربيع ذوي الجدوب

فالشاعر يطلب من ممدوحه الغوث فمن صفاته إغاثة الملهوف، وأن يحميه من النقائص لأنه كالربيع الذي يصيب الأرض المجدبة.

---

[1] الديوان، ج٤، ص١٧٠٠.

[2] المصدر السابق، ج١، ص٧٩.

[3] المصدر السابق، ج١، ص٢٢٤.

وقال ساخرا من صاحب اللحية الطويلة[1]: (الخفيف)

ألقها عنك يا طويلة أولـــى فاحتسبها شرارة في السعير

أرع فيها الموسي فإنك منها شهد الله في أثــام كبيــر

وفي القصيدة نفسها يقول[2]: (الخفيف)

فاتق الله ذا الجلال وغير منكرا فيك ممكن التغيير

أو فقصـر منها فحسبك منها نصف شبر علامة التذكير

هنا يستخدم الشاعر الأمر ليطلب من صاحب اللحية قصها والتخلص من هذا الإثم ويأمره كذلك بتقوى الله التي لن تتحقق إلا بتغيير هذا المنكر المتمثل في اللحية الطويلة، وبذلك نجد شاعرنا يستخدم أسلوب الأمر ليسخر من المهجو ومن لحيته المنكرة.

ولعل من أفضل استعمال ابن الرومي لأسلوب الأمر ما ورد في قصيدته التي يرثي فيها البصرة ويثير روح الحمية والحماس ويستنهض الهمم في نفوس المسلمين، فيقول[3]: (الخفيف)

انفروا أيها الكــرام خفــافا وثقالا إلى العبيد الطغـــام

أبرموا أمرهم وأنتــم تيــام سوءة سوءة لنوم النيـــام

صدقوا ظـــن إخوة أملوكم ورجوكم لنبوه الأيـــــام

---

[1] المصدر السابق، ج٣، ص٩٢٨.

[2] المصدر السابق، ج٣، ص٩٢٨.

[3] الديوان، ج٦، ص٢٣٨١- ٢٣٨٢.

أدركوا ثأرهم فذاك لديهـــم مثل رد الأرواح في الأجسام

رابعا: التشبيه:

يعرف ابن رشيق التشبيه بأنه: "صفة الشيء بما يقاربه ويشاكله من جهة واحدة أو من جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه"[1] فهو "علاقة مقارنة تجمع بين طرفين، لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة، أو مجموعة من الصفات والأحوال، هذه العلاقة قد تستند إلى مشابهة حسية، وقد تستند إلى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذهني، الذي يربط بين الطرفين المقارنين، دون أن يكون من الضروري أن يشترك الطرفان في الهيئة المادية، أو في كثير من الصفات المحسوسة"[2]، وبذلك فإن التشبيه "يفيد الغيرية ولا يفيد العينية"[3].

والتشبيه من أكثر الصور البلاغية شيوعا في الشعر العربي بل والنثر أيضـا، وهو "من الأساليب الأدبية ليس في اللغة العربية فحسب، وإنما في سائر اللغات، ولقد عني به العرب وجعلوه أحد مقاييس البراعة الأدبية[4]".

وقد برع ابن الرومي في تشكيل صوره التشبيهية واعتمد عليها في قصائده الوصفية اعتمادا كبيرا.

ومن ذلك قوله يصف العنب الرازقي وهو من أجود أنواع العنب وأطيبها، ويشبهه بخازن البلور، فيقول[5]: (الرجز)

---

[1] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ج١، ١٩٧٢م، ص١٧٤.

[2] عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م، ص١٧٢.

[3] المرجع نفسه، ص١٧٤.

[4] البيان فن الصورة، د. مصطفى الصاوي الجويني، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٣م، ص٢٤.

[5] الديوان، ج٣، ص٩٨٧- ٩٨٨.

ورازقي مخطف الخصور

كأنه مخازن البلـــــــور

وأغفل ذكر وجه الشبه ليطلق لخيال المتلقي ما شاء له أن يتصور.

وفي القصيدة التي يعاتب فيها أبا القاسم الشطرنجي، نجد أن يستغل التشبيه في وصف مدى براعة أبي القاسم في لعبة الشطرنج إذ يقول[1]: (الخفيف)

أو سرى الشيب تحت ليل شباب مستحير في لمة سحماء

وهكذا أبدع شاعرنا في تشبيه افتراس صاحبه في لعبة الشطرنج لخصمه بافتراس الشيب بلونه الأبيض للشباب في ثوبه الأسود.

ويصور شاعرنا تقلب أحوال الدهر ما بين اللين والشدة، كما لو كان نهارا بدايته ضياء هادئ وظهيرته نار محرقة، إذ يقول[2]: (الطويل)

وما الدهر إلا كابنه فيه بكرة وهاجرة مسمومة الجو صيخد

ثم يعمد الشاعر إلى التشبيه ليرسم صورة أكثر دقة وروعة لممدوحه صاعد بن مخلد، إذ يقول[3]: (الطويل)

أرق من الماء الذي في حسامه طباعا وأمضى من شباه وأنجد

حيث يصور رقة طباعه بالماء، كما يصور قوته وحدته بمضاءة السيف في لهيب المعركة.

---

(1) المصدر السابق، ج١، ص٦٧.

(2) المصدر السابق، ج٢، ص٥٨٨.

(3) الديوان، ج٢، ٥٨٩.

كما يقول في القصيدة نفسها [1]: (الطويل)

يلاقي العدا والأولياء ابن مخلد لقاء امرئ في الله يرضى ويعبد

بجهل كجهل السيف والسيف منتضى وحلم كحلم السيف، والسيف مغمد

يشبه قوة ممدوحه بالسيف الثائر الممشوق، ثم يشبه حلمه وسكينته بالسيف المغمد، ولعل شاعرنا كالدهر لا يثبت على حال فها هو يمدح صاعدا بن مخلد ولكن هذا لم يمنعه من هجائه بعد ذلك مؤكدا أنه شاعر الهجاء الأول في عصره، وليس هذا بغريب من شاعر مثل ابن الرومي كثيرا ما انقلب حربا على ممدوحيه، وكأني به يجد متعة ولذة في هذا الهجاء.

وكما استعان الشاعر بالتشبيه في وصفه للعنب والدهر والممدوح، نراه يستعين به في وصف الفاجعة التي حلت بمدينة البصرة، حيث يرسم بالكلمات صورا تفيض دموعا وتقطر دما، فيقول[2]: (الخفيف)

لهف نفسي عليك أيتها البصرة لهفا كمثل لهب الضرام

وفي البيت تشبيه لآلامه النفسية بلهيب النار المحرقة، ثم يقول[3]: (الخيف)

دخلوها كأنهم قطع الليل إذا راح مدلهم الظلام

فيصور الشاعر الزنج حين هجموا على المدينة بقطع الليل شديد السواد، مما يوحي بهول الفاجعة. ويقول[4]: (الخفيف)

---

1) المصدر السابق، ج٢، ص٥٩٠.

2) المصدر السابق، ج٦، ص٢٣٧٧.

3) المصدر السابق، ج٦، ص٢٣٧٨.

4) الديوان، ج٦، ص٢٣٧٨.

لهف نفسي عليك يا قبة الإسلام لهفا يطول منه غرامي

وفي البيت يرسم صورة لمدينة البصرة فيشبهها بقبة الإسلام، فيضفي عليها لونا من القداسة التي تأسر القلوب، كي يثير الحمية في نفوس المسلمين فيهبوا لنجدة المدينة ويقول[٢]: (الخفيف)

صبحوهم فكابد القوم منهم طول يوم كأنه ألف عام

ألف ألف في ساعة قتلوهم ثم ساقوا السباء كالأغنام

حيث يصور شاعرنا في البيت الأول مدى ثقل وطأة يوم اقتحام المدينة وكأنه ألف عام، وليس يوما واحدا، وذكر العدد عمق الإحساس بشدة وقع المصيبة، وفي البيت الثاني يصور السبايا بالأغنام ليبرز مدى المهانة والمذلة والعار الذي لحق بأهل البصرة جميعا.

وفي الغزل أبدع ابن الرومي في استعمال التشبيه ليبرز محاسن المغنية وحيد، فيشبهها إذا غنت بمعبد وابن سريج، وإذا عزفت كانت مثل زلزل وعقيد ويقول [٤]: (الخفيف)

معبد في الغناء وابن سريج وهي في الضرب زلزل وعقيد

ويقول[٥]: (الخفيف)

ما تزالين نظرة منك موت لي مميت، ونظرة تخليد

---

[٢] المصدر السابق، ج٦، ص٢٣٧٩.

[٤] المصدر السابق، ج٢، ص٧٦٤.

[٥] المصدر السابق، ج٢، ص٧٦٥.

حيث يصور نظرتها في حالة إعراضها بالموت الذي يفنيه، وفي حالة رضاها عنه بالحياة الخالدة التي تسعده وترضيه.

ويشبه الشاعر نفسه وما حل به من ممدوحيه عندما عاتبهم رغبة في زيادة فضلهم بمن رجا مطرا فانصبت عليه صاعقة مميتة أهلكته، إذ يقول[1]: (الطويل)

فكنت كمستسق سماء مخيلة حيا، فأصابته بإحدى الصواعق

ويشبه ابن الرومي النرجس بمصابيح السماء وهي النجوم البراقة، كما يشبهه في نفس البيت بمصابيح الوجوه المشرقة التي تنظر إليك.

خامسا: الاستعارة:

تعتبر الاستعارة عند القاضي الجرجاني: "أحد أعمدة الكلام وعليها المعول في التوسع والتصرف وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر"[2]، أما ابن رشيق فيقول عنها: "وليس في حلي الشعر أعجب منها وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها"[3]. ويقول الجويني: "الاستعارة من المجاز اللغوي، وهي تشبيه حذف أحد طرفيه وتنقسم إلى قسمين:

أن يذكر لفظ المشبه به ويراد المشبه ويسمي علماء البيان هذه الاستعارة تصريحية.

أما القسم الثني فهو أن لا يذكر المشبه به بل يحذف ويكتفى عنه بذكر صفة من صفاته أو خاصة من خواصه ويسمى هذا النوع من الاستعارة استعارة مكنية"[4].

---

[1] الديوان، ج٤، ص١٧٠٨.

[2] الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق: عيسى الحلبي، القاهرة، ص٤٢٨.

[3] العمدة، ابن رشيق، ج١، ص١٦٢.

[4] البيان فن الصورة، مصطفى الصاوي الجويني، ص٤٩ ،٥٠.

ومن خلال التعريفات السابقة يتبين لنا مدى أهمية الاستعارة في العمل الفني وقوة تأثيرها في المتلقي إذ إنها توضح المعنى وتعمق الإحساس به؛ فهي إذا "لب الإبداع في الشعر"[1].

أقسام الاستعارة:

١- استعارة تصريحية:

وهي ما صرح فيها اللفظ بلفظ المشبه[2]. ونذكر على سبيل المثال:

ومن الملاحظ أن ابن الرومي قد اعتمد على الاستعارة ووظفها توظيفا فنيا رائعا يبرز مدى مهارته الفنية وخياله الذي يحلق بعيدا في عالم الشعر، ومن الأمثلة الدالة على ذلك قوله[3]: (السريع)

بدر وشمس ولدا كوكبا أقسمت بالله لقد أنجبا

ثلاثة تشرق أنوارها لا بدلت من مشرق مغربا

ولقد جمع الشاعر في البيتين السابقين بين ثلاث استعارات تصريحية حيث شبه الأم بالبدر والأب بالشمس، كما شبه المولود بالكوكب.

٢- استعارة مكنية:

وهي ما حذف فيه المشبه به وترك شئ من لوازمه[4]. وهذا النوع من الاستعارة يوجد بكثرة في قصائد ابن الرومي وأمثله هذا،يقول ابن الرومي[5]: (الخفيف)

---

(1) النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور، مطبعة نهضة مصر، ١٩٤٨م، ص٤٧.

(2) علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ص٧١، ٢٠٠١م.

(3) الديوان، ج١، ص٢٣٢.

(4) أحمد أبو المجد، الواضح في البلاغة، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط١، ٢٠١٠م، ص ٦٩.

(5) الديوان، ج٢، ص٦٦٨.

قدم الفطر صاحبا مودودا ومضـى الصوم صاحبا محمودا

ذهب الصوم وهو يحيك نسكا وأتى الفطر وهو يحيك جودا

وشبيهاك لا يخونانك العهـ ـد لعمري بل يرعيان العهودا

أتى الشاعر في هذه الأبيات بعدة استعارات مكنية تمثلت في قوله (قدم الفطر – مضى الصوم – شبيهاك لا يخونانك) ليوضح فرحته بقدوم الفطر وانتهاء شهر الصوم وكلاهما كان وفيا.

يقول ابن الرومي: [1]: (الوافر)

كفى بالشيب من ناه مطاع على كره ومن داع مجاب

وقلت مسلما للشيب: أهلا بهادي المخطئين إلى الصواب

استعارة مكنية بديعة حيث شبه الشاعر الشيب بشيخ وقور يعظ الإنسان هاديا إياه إلى الصواب، فلا يملك له إلا السمع والطاعة، يقول[2]: (الطويل)

إذا رنقت شمس الأصيل ونفضت على الأفق الغربي ورسا مذعذعا

وودعت الدنيا لتقضـي نحبها وشول باقي عمرها فتشعشعا

---

[1] المصدر السابق، ج١، ص٢٥٥.

[2] الديوان، ج٤، ص١٤٧٥.

ولاحظت النوارة وهي مريضة وقد وضعت خدا إلى الشمس أضرعا

وهنا يبدع الشاعر في رسم صورة لغروب الشمس معتمدا على الاستعارات المكنية؛ فقد صور الشمس وهي تودع الدنيا مرتعشة مريضة منكسرة ذليلة،يقول[1]: (الطويل)

فيسبيك بالسحر الذي في جفونه ويصيبك بالسحر الذي هو نافثه

وقد استعان الشاعر بالاستعارة المكنية ليبرز مدى تأثير السحر في النفوس،يقول[2]:

زاد عن مقلتي لذيذ المنام شغلها عنه بالدموع الجسام

أي نوم من بعد ما حل بالبصـ ـرة من تلكم الهنات العظام

شبه الشاعر المنام بشيء لذيذ الطعم والعين بإنسان مشغول عنه بالدموع، مؤكدا على حسرته البالغة لما حل بالبصرة وأهلها من قتل ودمار،يقول[3]: (المنسرح)

أبكاني الشيب حين أضحكه حتى جرى الدمع واكفا سربه

لا بل أسى إذ بدا ففجعني بملثم منه راقني شنبه

اعتمد الشاعر على الاستعارة المكنية إذ شبه المشيب بإنسان يبتليه بالمصائب فيبكيه حزنا على نفسه، ثم يجعله موضع سخرية وضحك واستهزاء من

---

[1] المصدر السابق، ج١، ص٤٠٤.

[2] المصدر السابق، ج٦، ص٢٣٧٧.

[3] المصدر السابق، ج١، ص٣٠٢.

الغواني،يقول في رثاء ولده الأوسط[1]: (الطويل)

ألا قاتل الله المنايا ورميها من القـــوم حبـــات القلـوب على عمـــد

توخى حمام الموت أوسط صبيتي فلله كيف اختار واسطة العقد

ثكلت سروري كله إذ ثكلته وأصبحت في لذات عيشي أخا زهد

وفي الأبيات شبه الموت بعدو ينتزع حبات القلوب متعمدا مما يوحي بهول الفاجعة، ثم يشبهه بشخص يختار، كما جعل ابنه الأوسط جوهرة فريدة انتزعها الموت، وتعكس هذه الاستعارتات عمق حزن الشاعر على ولده الحبيب حتى أصبح زاهدا في ملذات الحياة،يقول في المغنية وحيد[2]: (الخفيف)

مثل ذاك الرضاب أطفأ ذاك الـ وجد لولا الإباء والتصـريد

وفي استعارة مكنية جميلة يشبه الشاعر رضاب المغنية بالماء الذي يطفئ لهيب الشوق إليها،يقول[3]: (البسيط)

إن الليالي والأيام قد كشفت من كيدها كل مستور ومكنون

فشاعرنا هنا يستغل الاستعارة في تشبيه الزمن بعدو يكيد له كيدا في مواجهة صريحة.

---

[1] المصدر السابق، ج٢، ص٦٢٤.

[2] الديوان، ج٢، ص٧٦٢.

[3] المصدر السابق، ج٦، ص٢٤٦٣.

ويقول عن الزمان[1]: (الكامل)

ولع الزمان بأن يحرك ساكنا وبأن يثير من الأوابد كامنا

دار الزمان بليله ونهاره فأدار أرحاء المنون طواحنا

وهنا يرسم الشاعر بالكلمات استعارتين تبرزان صورة هذا الزمن العدو الذي يصيب الإنسان بالكوارث الفادحة إلى حد الموت.

ويقول[2]: (الكامل)

خجلت خدود الورد من تفضيله خجلا توردها عليه شاهد

وفي البيت نلمس أن ابن الرومي قد استغل الاستعارة في بيان مدى فضل النرجس على الورد وخجل الورد خجلا واضحا حيث صور الورد بإنسان احمرت خدوده من شدة هذا الخجل أمام سحر النرجس وروعته.

سادسا: الكناية:

عرف عبد القاهر الجرجاني الكناية بقوله: "هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ إليه يجعله دليلا عليه"[3].

ومن هذا التعريف ندرك أن للكناية دورا بارزا في إثبات المعاني وتعميق الإحساس بها وذلك بإقامة الدليل عليها في لمحة فنية ذكية.

---

[1] المصدر السابق، ج٦، ص٢٥٩١ - ٢٥٩٢.

[2] المصدر السابق، ج٢، ص ٦٤٣.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص٦٦.

أقسام الكناية:

وتنقسم الكناية إلى:

١- كناية عن صفة:

وهي التي تطلب بها ذات الصفة المعنوية كالإقدام والجمال والترحال، والحلم، والكرم والفصاحة، والعزة والكسل، وهذا النوع الموصوف ويقصد الصفة التي تنتشر وراءه ومعيار كناية الصفة أن يذكر الموصوف وليس هو المقصود ولا تذكر الصفة المرادة، بل تذكر صفات أخرى انتقل منها المراد[١]. وأمثلة ذلك يقول "ابن الرومي":[٢] (البسيط)

هي الفتاة إذا اعتلت مفاصلها بالنوم واعتلت الأفواه بالسحر

إن فتاة الشاعر رقيقة وناعمة، وهي لشدة نعومتها ورقتها تشكو من اعتلال في مفاصلها حتى لو كانت نائمة ولا تقوم بأي عمل. و"اعتلت مفاصلها" كناية عن صفة.

وقوله:[٣] (الطويل)

هو النخلة الطولى أبت أن تنالها يدان ولكن ينعها متساقط

يصف ابن الرومي ما تمثله النخلة من عطاء وكرم، وما تبدو عليه من علو وشموخ، فيمزج هاتين السمتين ليسبغهما على ممدوحه.

النخلة الطولى: كناية عن العلو والشموخ/ كناية عن صفة.

ينعها متساقط: كناية عن العطاء والكرم/ كناية عن صفة.

---

(١) فواز فتح الله الراميني، البلسم الشافي في علوم البلاغة، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠٠٩م، ص١٠٦، ١٠٦.

(٢) ابن الرومي، الديوان، ج٣، ١١١٦.

(٣) ابن الرومي، الديوان، ج٤، ١٤٢٨.

٢- كناية عن موصوف:

وهي الكناية التي يطلب بها الموصوف نفسه، وشرطها أن تكون الكناية مختصة بالمكنى عنه لا تتعداه، وذلك لكي يحصل الأنتقال منها إليه في مثل ذلك: قتلت ملك الغابة: كناية عن الأسد[1].

وأمثلة ذلك يقول "ابن الرومي":[2] (السريع)

أنفاس نوار يمج الندى خلال روض سبط أهلب

في هذا البيت يشكو الشاعر البين ويهجوه فـ"سبط أهلب" كناية عن موصوف هو الفراق حاله من أثره.

---

[1] حميد ادم ثويني، البلاغة العربية (المفهوم والتطبيق)، المصدر السابق، ص٢٩٢.

[2] ابن الرومي، الديوان، ج٦، ٢٣٦٨.

الخاتمة والنتائج

بعد هذه الرحلة القصيرة في عالم وصف الطبيعة عند ابن الرومي، يصل الباحث إلى تسجيل النتائج الآتية:

إن شعر ابن الرومي غلب عليه وصف الطبيعة، فهو - فعلا - كما قالوا عنه شاعر الطبيعة الفنان الذي لم يستطع أي شاعر آخر أن يحل محله، من أقرانه والذين عاصروه، فهو شاعر مميز في وصف الطبيعة.

وصف ابن الرومي وأجاد الوصف، وفي كل نص كان كالرسام العبقري الذي يرسم ويتألق في لوحته، فتبدو لوحته ناطقة لواقع حال الموصوف، فبان حبه للطبيعة أكثر من حبه لأي شيء آخر.

بانت نفسية الشاعر من خلال وصفه للكثير من مظاهر الطبيعة، فاللوحات التي كتبها، كانت غالبا معبرة عما في داخله من شعور، وغلب عليها الحزن والأسى، بسبب الظروف التي عاشها والنكبات التي مر بها.

أشرك الشاعر كل حواسه السمعية والبصرية والذوقية في وصفه للطبيعة؛ فكان يصور صوت الحيوان مثلا وكأنه يحاول إسماع المتلقي ذلك الصوت، وبحس مرهف يصور صوت الماء وهو يجري، وصوت العصافير والبلابل، بل حتى صوت الريح، بعنفها ورقتها، أجاد في وصفها وجعل المتلقي يتعايش مع النص، وكذلك كان بالنسبة لتصويره المشاهد البصرية، فالمناظر التي يرسمها للمتلقي ويبث فيها من بصره وكأن اللوحة رسمت ولم تكتب أو تلق، فقد أجاد في وصف المجالس والحدائق، والقصور، والسفن، بل حتى الموائد وغيرها.

نهج ابن الرومي نهج القدماء في تعدد أغراضه الشعرية في القصيدة الواحدة ولكنه استطاع أن يحقق في شعره وحدة عاطفية تجلت في تعبيره عن معاناته وما يلاقيه من صعاب، وتختلط أوصافه غالبا في أغراضه الشعرية، و ترجحت أوصافه بين التقليد و التجديد، في وصف الناقة والأسد والسحب، بينما نراه يجدد في وصف الرياض .

اعتمد ابن الرومي في تصويره الساخر المقبول على المبالغات في التجسيد والتشخيص؛ في تشويه مهجويه ورسم شخصياتهم رسما كاريكاتيريا، إذ أنه لم يتخلص من الهجاء المقذع الذي يعتمد على السب والشتم وذكر العيوب الجسمية.

كان ابن الرومي يكثر في شعره الاقتباس والتضمين؛ مما يدل على تأثر أسلوبه بالقرآن تأثرا جليا، و يدل ذلك على سعة ثقافته الأدبية والعلمية.

تعددت جوانب الوصف في شعر ابن الرومي إذ برع ابن الرومي في وصف مظاهر الطبيعة التي كانت تقع تحت بصره إلا ووصفها وصفا دقيقا.

اتسم شعر الطبيعة في شعر ابن الرومي بالواقعية إذ أن الشاعر كان يحرص ان تكون صورته مطابقة للواقع مشابهة له، ولذلك حرص على الصور التي توحي بالمعنى وتشعر بالحركة.

حافظ ابن الرومي على الوحدة الفنية في موضوعاته الوصفية؛ والتي تتصف أبياته بالترابط العضوي، وكان يكثر في استعمال التشبيهات والاستعارات والكنايات، لما تمثله من تجسيم وتشخيص.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الأزدي، علي بن ظافر (ت٨١٧هـ)، غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، تحقيق محمد زغول سلام ومصطفى الجويني، القاهرة: دار المعارف، ٢٠١٠م.

إسماعيل، عز الدين، في الأدب العباسي الرؤية والفن، ط١، بيروت: دار النهضة العربية،١٩٧٥م.

الأسود، عبد القادر، البحر في الأدب العربي، شبكة الفصيح، ٢٠١٠/٩/٢٣م، http://www.alfaseeh.net.

أعراب، أحمد الطريسي، التصور المنهجي ومستويات الإدراك في العمل الأدبي والشعري، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع. الرباط ، ١٩٨٩م.

إلفانا، مصطفى حمود، موسوعة علم النبات، مراجعة الدكتور محمد حمود، دار الفكر اللبناني، ط٢، ١٩٩٥م.

أنصاري، محمود شكيب، حسن داد خواه، الليل وما يتصل به في الشعر الجاهلي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد١٢(٢): ٣٧-، ٢٠٠٥م.

بابتي، فوال عزيزة، موسوعة الأعلام العرب والمسلمين والعالميين، ط١، ج٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م.

الباشا، عبد الرحمن، شعر الطرد إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ط١، الإسكندرية: دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٦٨م.

البدوي، أحمد، أسس النقد العربي عند العرب، مكتبة النهضة مصر، ط٣، ١٩٩٤م.

بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، تحقيق عبد الحليم النجار، ورمضان عبد التواب، ط٥، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧م.

البغدادي، أبو علاء صاعد (ت٤١٧هـ)، الفصوص، تحقيق: عبد الهادي التازي، ج١، ١٩٩٣م.

البغدادي، الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠١م.

البيومي، محمد رجب، الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٩٨٠م.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ)، ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، ت: محمد عبده عزام، ط٣، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٢م.

الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبد العزيز (ت ٣٩٢هـ)، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، محمد علي البجاوي، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٦م.

ابن الجهم، علي (ت٢٤٩هـ)، ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم بك، بيروت: لجنة التراث العربي.

الجواليقي، موهوب (ت ٥٤٠هـ)، شرح أدب الكاتب، تحقيق ودراسة: طيبة حمد بودي، ط١، الكويت: مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٥م.

حسن، رشدي علي، شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني، مؤسسة الرسالة، دار عمار، عمان، ط١، ١٩٨٨.

الحصري القيرواني، إبراهيم بن علي (٤٥٣هـ)، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق وشرح وضبط: زكي مبارك، بيروت: دار الجيل، بيروت.

الحموي، ياقوت (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، ط٣، دار صادر، بيروت١٩٩٧م.

الحوفي، أحمد محمد، أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٨م.

خلف، سلام أحمد، الأثر النفسي للطبيعة في شعر ابن الرومي، مجلة كلية التربية الأساسية جامعة بغداد، العدد ٧٤، بغداد.

الدينوري، ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، الأنواء في مواسم العرب ط١، مطبعة هاشم الطعان، دار الحضارة العربية، بيروت ١٩٧٥م.

الذهبي، شمس الدين (ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، ط٣، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.

الرازي، محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٠هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت: المكتبة العصرية.

الرباعي، عبد القادر، الصورة الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى، ط١، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع ٢٠٠٦م.

ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني (ت ٤٥٦هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٤، دار الجليل للنشر والتوزيع، بيروت:١٩٨٤م.

ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريح (ت ٢٨٣هـ)، الديوان، ت: حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة١٩٨١م.

الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج٤، دار العلم للملايين، بيروت ٢٠٠٢م.

زواهرة، ظاهر محمد هزاع، اللون ودلالته في الشعر، الشعر الأردني نموذجا، دار الحامد، ٢٠٠٨م.

أبو زيد، سامي، ابن الرومي؛ قراءة نقدية في شعره، عمان: دار عالم الثقافة، ٢٠١٨م.

سامح ربابعة، موسى، التناص في نماذج من الشعر العربي الحديث، ط١، إربد: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، ٢٠٠٠م.

السكاكي، يوسف بن أبي بكر (ت٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

السوداني، صفية عبد القادر إسماعيل، الوصف في شعر ابن الرومي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٥م.

أبو سويلم، أنور عليان، الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول، دار العلوم للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٣م.

الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥م.

شرف الدين، خليل، ابن الرومي، ط١، القاهرة: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩١م.

شكر، أحمد، صورة الحيوان في شعر العصر العباسي دراسة سيميائية، رسالة دكتوراه، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان،٢٠١٢م.

شلق، علي، ابن الرومي في الصورة والوجود، ط١، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٢م.

الصفدي، ركان، ابن الرومي الشاعر المجدد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة ـ دمشق ٢٠١٢م.

الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت٣٣٥هـ)، شعر ابن المعتز، تحقيق أحمد السامرائي، بغداد: منشورات وزارة الثقافة والفنون، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٧م.

صيام، بسام إسماعيل، التشكيل الحسي في شعر الطبيعة العباسي في القرن الثالث الهجري، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة العلوم الإسلامية، غزة، ٢٠١٧م.

ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، ط١٢، القاهرة، دار المعارف بمصر.

الطريسي، أحمد، الرؤية والفن في الشعر العربي الحديث بالمغرب، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط١، ١٩٨٧م.

العاني، محمد شهاب، الشعر السياسي الأندلسي عصر ملوك الطوائف، دار دجلة، عمان الأردن ٢٠٠٨م.

أبو العدوس، يوسف ، المجاز المرسل والكناية: الأبعاد المعرفية والجمالية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان الأردن١٩٩٨م.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، ت ٣٩٥هـ، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد ومحمد أبو الفضل، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٩٥٢م.

عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م.

عطوان، حسين، مقدمة القصيدة في العصر العباسي الثاني، ط١، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٢م.

العقاد، عباس محمود، ابن الرومي حياته من شعره، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٣١م.

عيد، رجاء، لغة الشعر: قراءة في الشعر العربي الحديث، الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٨٥م.

الغسيني، زاهر بن بدر، علاقة اللون بالصورة الشعرية في شعر ابن خفاجة الأندلسي، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، ٢٠١٣م.

الفوتي، وفاء، قصيدة الرثاء عند ابن الرومي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠٠٠م.

الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٦، دمشق ١٩٨٨م.

القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٧٣٩هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الفكر، ١٩٢٤م.

القزويني، زكريا بن محمد (ت ٦٨٢هـ)، شرح التلخيص في علوم البلاغة، شرحه: محمد هاشم دويدري، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٢م.

القيسي، حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، الشركة المتحدة للتوزيع، ط١، بيروت لبنان ١٩٧٠م.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٩٠م.

الكفاوين، شاهر عوض، الشعر العربي في رثاء الدول والأمصار حتى نهاية سقوط الأندلس، رسالة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، مكة المكرمة، ١٩٨٤م.

الكلي، دلسوز، صورة المشرق في الشعر الأندلسي من الفتح إلى نهاية القرن الخامس الهجري، رسالة دكتوراة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن، ٢٠١٧م.

المحمد، روضة، اتجاهات الرثاء في القرن الثالث هجري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، دمشق، ١٩٨٣م.

المخزومي، مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، ط٢، بيروت، ١٩٨٦م.

المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، ط٣، بيروت، ١٩٩٣م.

ابن المعتز، عبدالله (ت٢٩٦هـ)، ديوان ابن المعتز، تحقيق: كرم البستاني، ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٦١م.

المقدسي، أنيس، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ط١٧، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٩م.

النابغة الذبياني، زياد بن معاوية (ت١٨ قبل الهجرة/ ٦٠٤م)، ديوان النابغة، جمع وتحقيق وشرح محمد الطاهر بن عاشور، تونس: الشركة التونسية، ١٩٧٦م.

ناصف، مصطفى ، الصورة الأدبية، ط٣، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ١٩٨٣م.

النجادي، موسى، وصف الطبيعة في شعر العصر المملوكي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخليل: فلسطين، ٢٠٠٦م.

أبو نواس، الحسن بن هانئ (ت ١٩٩هـ)، ديوان أبي نواس برواية الصولي، تحقيق: بهجت الحديثي، بغداد: دار الرسالة للطباعة، ١٩٨٠م.

نوفل، سيد، شعر الطبيعة في الأدب العربي، ط٢، دار المعارف بمصر.

النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت٨٢٧هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م.

الهاشمي، حمد بن علي الحسيني، مخاطبة الطير في الشعر العربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠١٤م.

أبو الهيجاء، فؤاد حسن، شعر الجهاد الشامي في مواجهة الصليبين، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠٠٤م.

الورقي، السعيد، لغة الشعر العربي الحديث: مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٣م.

اليافي، عبد الكريم، دراسات فنية في الأدب العربي، ط١، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م.

يعقوب، إميل بديع، موسوعة الحروف العربية، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥م.

الدوريات:

البسطويسي، عطا مصطفى، براعة التصوير في شعر رثاء المدن والممالك بين ابن الرومي وأبي البقاء الرندي، مجلة كلية اللغة العربية، المنصورة، العدد (٢٠)، ٢٠١١م.

بنات، محمد يوسف، الدواليب والنواعير في شعر المشارقة والأندلسيين؛ دراسة مقارنة، مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة العلوم الإسلامية، عمان، المجلد الرابع العدد(١)، آذار٢٠١٧م.

بوزيدي، نعيمة، التناص في شعر ابن الرومي، حوليات جامعة الجزائر، العدد٢٠، ديسمبر ٢٠١١م.

حسين، محمود حسين عبد الرحمن، مفهوم التاريخ الطبيعي لحشرة النحل في التراث الإسلامي، مجلة التراث العلمي العربي، فصلية علمية محكمة، مركز بحوث ومتحف التاريخ الطبيعي، جامعة بغداد، عدد٤، العراق، ٢٠١٥م.

خلف، سلام أحمد، السرد القصصي في شعر أبي تمام، مجلة كلية الآداب، عدد١٠١، جامعة الأنبار، ٢٠١١م.

روشنفكر، كبرى، الطبيعة الحية في شعر ابن الرومي، مجلة العلوم الانسانية، العدد ١٣، ٢٠٠٦م.

عبد الله، شيماء نجم، نجوم السماء وكواكبها في شعر أبي العلاء المعري، الرؤية والتوظيف، مجلة كلية الآداب/ عدد ٩٠، د ن، العراق، ٢٠٠٧م.

العبيدي، حسن، والدليمي، عبد الحميد، التناص الديني والأدبي في شعر ابن الرومي، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، جامعة الأنبار، السنة الثالثة، العدد (٦)، ٢٠١٢م.

نصر، عبد الملك محمد، صور الكواكب والنجوم في الشعر العربي ودلالاتها العلمية، بحث منشور لموقع البروفيسور عبد الطيب للغة العربية، جامعة الخرطوم، د ن.

اليوسف، منصور بن صالح، الثريا في سماء العرب، مقالة في جريدة الجزيرة، السعودية في ٢٠١١/٦/١٥م.

المقالات الإلكترونية:

التربانى، شريف، لفظ النجم في شعر العرب، شبكة سحاب الإلكترونية، ٢٠١٤/٥/٢٣م، https://www.sahab.net/forums/index.php.

الجعيثن، عبدالله، النسيم العليل في الشعر الشعبي والفصيح، صحيفة الرياض، العدد١٥٨٥٥، الاثنين ٢٥ ذو الحجة ١٤٣٢هـ الموافق ٢١ تشرين الثاني ٢٠١١م.

حاجي، أحمد ، مصطلح اللغة الشعرية: المفهوم والخصائص، مجلة مقاليد، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ٢٠١٥/١٢م.

الحراق، محمد شداد، اللغة الشعرية وهوية النص، موقع ديوان العرب، الأحد ٣٠ تشرين الأول ٢٠١١م، الرابط الإلكتروني:
http://www.diwanalarab.com.

فريق القافلة،النيازك والشهب، القافلة، مجلة ثقافية متنوعة تصدر كل شهرين، السعودية، مارس ٢٠١٦. الرابط الإلكتروني: http://www.qafilah.com.

- مطوري، هدى، وجواد سعدون زاده، وعلي سبهار، بحث بعنوان: اللغة الشعرية عند محمد مهدي الجواهري، المؤتمر الدولي الخامس، دبي، ٤-٧ مايو (أيار) ٢٠١٦م.

Abstract

he careful look at the poetry of Ibn al-Roumi reveals the truth that his poetry is characterized by the dazzling images of nature. There is no poem among all his poems that talks about the intriguing nature; it is drawn in each subject of his poetry.

Nature, to Ibn al-Roumi, made a support to other subjects; when he described, he leaned on nature, and when he courted, he invested nature and employed it in his flirting. Even in his nostalgia, he leaned on nature, and when he satirized, he leaned on nature in his satire. And when he praised, there was nothing comparable to nature to take the words of praise from its beauty. Nature, was mourning for him in his sorrows and pains.

Nature to Ibn al-Roumi was a means of diving into multiple human themes. It is a fundamental pillar of his poetry, as is the case with many poets. But the poet of this study pioneered in investing and employing it in his poetry.

In light of this, this study attempted to follow nature in the poetry of Ibn al-Roumi. It is noted that the nature, in general, has received great attention from poets. This led to the study of the poetic achievement of Ibn al-Roumi. The researcher found in his poetry valuable models that deserve study and fulfill the required purpose. The nature of the research required that it be tackled in five chapters: introduction, prelude, and three chapters that show how nature inspired Ibn al-Roumi in several manners. The research shows the extent to which the poet was influenced by the place where he was born and lived; and his influence by the literary, scientific and cultural life of that period;

where Baghdad was a beacon of science and literature for the whole world. This factor had greatly influenced his artistic output and his poetic skill and literary rhetoric.